# عـــود النـــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهواري

عدد خاص: 2020/5 - الحياة في زمن كورونا

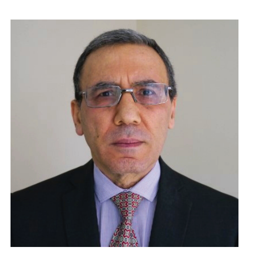



تأملات :: انطباعات :: يوميات

# المحتويات

**عدلي الهواري**

# كلمة العدد الخاص 2: توثيق أولي للحياة تحت حصار كورونا



كانت سرعة الحياة تزيد كل يوم. التركيز على الجانب المادي من الحياة صار القيمة الشائعة. العلم والطب يتقدمان تقدما مذهلا. التطور في مختلف المجالات تراكم على مر العقود.

في أوج عنفوان التقدم واختلال القيم لصالح المادي والاستهلاكي، تسلل فيروس لا يرى بالعين المجردة إلى أجسام البشر. انتشر من جسم إلى آخر انتشارا سريعا. كما في حلبة ملاكمة، حسم كورونا المبارزة في الثواني الأولى، وترك البشرية تترنح على أرضية الحلبة غير قادرة على الوقوف، وعاجزة عن الرؤية بوضوح.

خلال أسابيع قليلة عاشت البشرية واقعا كانت ستسخر ممن تخيله لو كان الأمر فيلما سينمائيا. ولغياب علاج معروف لمرض جديد فتاك، أجمعت الدول على فرض إجراءات تحد من حركة المواطنين وتجمّعهم للسيطرة على انتشار الوباء.

على الصعيد الثقافي، كان الربيع على الأبواب، واقترب موسم ازدهار النشاطات الثقافية ومعارض الكتب. توقف كل شيء، وصار البقاء في البيوت إلزاميا. حاول كل واحد فينا التكيف مع هذا الواقع الجديد. بعضنا أحسن التكيف واستفاد من الوقت الإضافي، وبعض آخر أصيب بالضجر. وربما دخل البعض في حالة اكتئاب.

لحسن الحظ أن الحجر الجماعي في مختلف أنحاء العالم حدث في مرحلة من التطور التقني الذي وفر للبشرية وسائل تواصل عديدة، ووسائل

لحفظ المعلومات واسترجاعها، وتحويل الكتب والمجلات إلى صيغة إلكترونية يمكن إعدادها وتوزيعها والحصول عليها بسهولة. ولذا، من كان متصالحا مع الواقع الإلكتروني الجديد، كان أقدر على مواصلة البحث والتأليف والقراءة وممارسة أشكال أخرى من الإبداع.

ولأن الحجر الصحي للوقاية من انتشار وباء كورونا حدث لن ينساه من عايش مرحلته، وصار لكل إنسان حكاياته وذكرياته أثناء هيمنة هذا الحدث على حياته، أردت أن تبادر مجلة «عود الند» الثقافية إلى التدوين المبكر للحكايات والتأملات والانطباعات واليوميات، فقررت إصدار عدد خاص، ووجهت دعوة إلى مجموعة من الكاتبات والكتاب للمشاركة فيه.

النصوص المنشورة في العدد خاص هذا هي التي أرسلها من لبّى الدعوة ضمن المهلة المحددة للمشاركة، وهي أسبوعين. العدد الدوري القادم من «عود الند» يصدر بعد شهر، ولا أستبعد أن تكون فيه مواد عدة ذات علاقة بوباء كورونا اللعين.

ولأننا نعيش في زمن غير عادي، سوف أمدد الموعد النهائي لاستقبال مواد للنشر في العدد الدوري القادم (السابع عشر: صيف 2020) حتى منتصف أيار (مايو) 2020، شريطة أن تكون المواد المرسلة متوافقة مع سياسة النشر في المجلة، أي جديدة، ومرسلة للنشر الحصري في عود الند، ويجب أن ترسل من خلال موقع المجلة، علما بأن العدد الدوري القادم سيدخل «عود الند» العام الخامس عشر من النشر الثقافي الراقي.

وفي الختام سوف أكرر ما قلته مرارا منذ إصدار مجلة «عود الند» الثقافية. المفاضلة بين النشر الورقي والرقمي كانت مفاضلة عقيمة. وبينت ظاهرة الحجر الصحي عالميا أن المكتبات المكدّسة بالكتب الورقية عديمة الجدوى في ظرف كهذا. المكتبات الوطنية والجامعية والمدرسية والعامة أغلقت أبوابها. حاسوبك الصغير وهاتفك الذكي صارا مكتبتك البديلة.

أرجو للجميع السلامة.

عدلي الهواري

2020/4/27

د. نجود الربيعي

# تأملات في زمن الكورونا

يسعى الإنسانُ طوال حياته لنيلِ الحريةِ. وكلّما وصلَ إلى نهايةٍ، خابَ أملهُ في الظفرِ بها، فيعود بإرادةٍ أقوى لاهثاً يبحثُ عنها ويكسّرُ كلّ القيود. حتّى حانتِ اللحظة التي جاءت من كائنٍ غيرِ مرئيّ، بل لا يُرى إلا من خلالِ أجهزةِ المكرسكوب شديدة الدقة ليشلّ حركةَ الحياة ولتُشَلَ بعدها حركةُ الإنسانِ مع كلّ ما يصحبها من لهوٍ وصخَبٍ وضجّةٍ وتعبٍ.

حوّلَ الفايروس الحياةَ إلى جمادٍ وأصبح كلّ شيء من دون حركة. أزهقَ أرواحَ الآلاف دونَ أن يفرّقَ بين كبيرٍ وصغيرٍ، شابّ أو شابة، رجل أو امرأة، وكأنّه يجسّد قولَ زهير بن أبي سُلمى:

رأيتُ المنايا خبطَ عشواء من تُصب == تمته ومن تُخطِئ يُعمَّر فيَهرمِ

صمتتِ الشوارعُ وهدأتِ البحارُ وتوقفّتِ المعاملُ وهجعتِ الطائراتُ في مطاراتها وتحوّلت الموانئُ والمحطّاتُ إلى أماكنَ فارغةٍ هجرها المسافرون. شاطئ البحرِ أصبح يناغي ويغازل الموجَ فقط، لا تدوسهُ الأقدامُ. مراكزُ التسوّق أقفلت أبوابها، الماركاتُ تكدّست على الرفوفِ، المعاملُ توقفت عجلةُ إنتاجها ومنافساتها الشرسة.

الحروبُ خمدت ولو لفترةٍ لأنّ منابعَ تمويلها قد جفّت وانشغلت بما هو أهمّ من الحربِ، ويبدو أن النفطَ قد أصابتهُ العدوى هو أيضاً، فأخذ يتهاوى في الأسواقِ العالميةِ وهبطت أسعارُ الأسهمِ في أسواقِ المال. المقاهي والنوادي غدت صمّاء لا تسمعُ هذرَ الحديثِ والطعن بالآخرين، و و و و.

كانت تلك الصورُ بعضاً من صورِ الكورونا. ولكنّ الإنسان طُبِعَ على التدبّر

واستثمارِ الظروفِ. ولو سألنا أنفسَنا هل سننظرُ إلى نصفِ الكأسِ الخاويةِ فقط أم علينا أن ننظرَ إلى النصفِ الآخرِ من الكأسِ أيضاً؟ ما الإيجابيات الموجودة في هذا الوباء؟

أهمّ غنيمةٍ في نظري أن هذا الفايروس جعل الظالمَ يشعرُ بالخوفِ بعد أن نسي شيئاً اسمه الحساب، وأخذَ بسببِ الجائحةِ يحسب حساباً لوجوده، لأنّ كيانَه قد أصبح مُهدداً من كائنٍ غيرِ مرئي، في حين كان الظالمُ يرى قبل الوباءِ بعينهِ آلافَ الأرواحِ وهي تُزهقُ بأمره وبإشارةٍ منهُ دون أن يأبه.

جعلت كورونا الكثير من الناس ينظرون إلى أنفسِهم ويعيدون ترتيبَ أوراقهم المبعثرةِ التي بعثرها صخب الحياةِ، فالزوجُ قد عاشَ تجربةَ زوجتهِ في البيتِ، وأمسى يشعرُ بأسرته وبمسؤولية الزوجة. والأبناء أعادوا تعارفَهم من جديدٍ بعد أن أخذهم عالمُ التكنلوجيا والألعاب والأجهزة الذكية.

ولأوّل مرّةٍ تتم المساواةُ بينَ الغنيّ والفقيرِ كما قال إيليا أبو ماضي:

قمرٌ واحدٌ يطلُّ علينا == وعلى الكوخِ والبناء الموطّد

وأصبح الغنيّ الذي فقدَ ثروتهُ يشعرُ بهاجسِ الفقيرِ وهو يكدحُ لتوفيرِ لقمتهِ، أضحت الشركاتُ تتنازلُ وتقدّمُ العروضَ السخيّةَ للناس وتتوسلهم للشراء منها بعد أن كانت تضعُ الأرباحَ الخياليةَ مقابلَ حاجةِ الإنسان لسلعهم.

صارَ السلاح مكدّساً في المشاجبِ، وعرفَ الإنسانُ أن هذهِ الأسلحةَ هي أدواتٌ مصنوعة لسلبِ حياتهِ باستخدام ثرواتهِ. تباعد الإنسانُ بعضَ الشيء عن كلّ ما يحيط به من أقاربَ ومعارفَ وأصدقاء، وأصبح يتواصلُ معهم ويشتاق إليهم. وكشف الفايروس معادنَ الكثيرين منهم، فهناكَ مَن يسألُ وهناك من ظهرت أنانيتهُ.

سامح كثيرٌ من الناسِ من أخطؤوا بحقهم في وقتٍ كان الإنسانُ مصرّاً على الانتقام، أوقفتْ المحاكمُ والمؤسساتُ الرسميةُ النظرَ في معاملاتِ الطلاقِ والخلافاتِ البسيطةِ لعلّها تكونُ فرصةً للمّ الشملِ من جديدٍ. عاد الكثيرُ من الناسِ إلى بيوتهم وبدؤوا باكتشافِ ذواتهم من جديدٍ وتذكروا هواياتهم القديمة، فمنهم من عادَ ليبحث في الأغراضِ المهملةِ والمركونة في المخازنِ على

آلاتٍ موسيقية كان يعزفُ عليها، ومنهم من عاد لفرشَاتهِ ليرسمَ الحياةَ من وجهةِ نظرٍ جديدةٍ. ومنهم من دخل المطبخَ ليساعدَ في إعدادِ الطعامِ. وهناكَ من عادَ إلى المكتباتِ المهجورةِ في البيوت ليتصفحَ كتباً كان الترابُ قد غطّاها.

اكتشفتِ المرأةُ أنها ليست بحاجة إلى صالوناتِ التجميلِ وأنها قادرةٌ على إظهارِ جمالها ببساطةٍ دونَ الحاجةِ إلى النفخِ والشفطِ وعملياتِ التجميلِ.

تنازلَ الكثيرُ من الفنانين عن إمبراطورياتهم التجارية وأخذوا يفتحون الإنترنيتَ مع جمهورهم ويتواصلون مع محبيهم بشكلٍ مجانيّ بعد أن كانوا لا يسيرون إلا مع فيلقٍ من الحراسةِ الشخصيةِ.

انتبه الرياضيُّ أنه قادر على الاستمرارِ بالتدريباتِ مع أقرانهِ عن بُعدٍ.

عرف الإنسان أنه قادرٌ أن يؤديَ طقوسَ العبادةِ وحدَه دونَ الحاجةِ لقيدِ رجالِ الدين الذين كانوا يقيّدون الناسَ بالسلاسلِ، وأصبح الإنسان يدعو ربّهُ وحدَه وبلغته ومن صميمِ قلبهِ ويخاطب خالقَه بكلّ بساطة.

والأهمّ من هذا التعليمُ، فقد اكتشفت المدارسُ والمؤسسات أن النتَّ يستطيع أن يسدَّ محلّ البناياتِ، ففتحوا صفوفاً رقميّة وتواصلَ المدرسُ مع طلابه واستمرّت عجلةُ العلمِ والدراسة والامتحانات.

أصبحتِ الصحفُ والمجلاتُ رقميةً، ونزلت عشراتُ الآلافِ من الكتبِ على الشبكةِ العنكبوتيةِ.

نشطت النكتةُ والحكايةُ الفكاهيةُ بسبب الحجْرِ، وأصبح المرءُ أقوى بسبب صمودهِ في المواجهةِ.

**ولكن ماذا عن الأرضِ والسماءِ والنباتِ والحيوانِ؟**

لأوّل مرّةٍ عاد إلى السماءِ لونها الأزرقُ الصافي الذي لوّثه الإنسانُ بدخانهِ الصناعي، واستراحت الأرضُ من حركةِ أقدام الملياراتِ التي كانت تدوسها يومياً.

استراحت محركاتُ السياراتِ والعجلاتِ ووسائلِ النقلِ وأراحتِ الطبيعةَ من آثارها وسمومِها.

عادت الطيورُ تمرحُ وحدَها في الطبيعةِ، واستغربت الحيواناتُ من اختفاءِ البشرِ، أصبحت الأرضُ لكلّ تلك الكائناتِ باستثناءِ الإنسانِ المحجورِ.

عادتِ الأسماكُ تتعرّف على عيونِ الماءِ وقنواتهِ من جديدٍ بعد أن هجرتها بسببِ البشر.

اعتادت الأذنُ الآن على الهدوءِ بعد أن كانتْ تعيشُ الصخبَ والضوضاءَ وعاد الإنسانُ يفكّر ويتأملُ بهدوءٍ لينتجَ روائعَ سيكشفُها المستقبلُ وستتجسد بأعمالِ الفنانين وكتابات المفكرين وبنصوص الأدباءِ من الشعراءِ والروائيين. كلّ هذا بسببِ عزلة الكورونا.

تفتحت الأزهارُ بعطرٍ يختلفُ عن السابقِ، لأن الموادَ الكيمياوية قد اختفت، ففاحَ عطرُ الأزهار وملأ الطبيعةَ. هدأ الصيادون عن ملاحقةِ الحيوانات والفتك بها وبذلك حصل الحيوان على حريتهِ بعد أن حُبسَ الإنسان قسراً.

عاد الطبّ وعلمُ الأدويةِ إلى الواجهةِ بعد أن حوّلَ الإنسانُ الطبيبُ عمله إلى ما يشبه السلعِ التجارية، فكثرت عملياتُ التجميلُ والشدِّ والحقن، والدواء أصبح للتجميلِ والتنحيف والتخسيس. أما الآن فأثبت الفايروس للعالم أن عقلَ الإنسان الذي خُلق للتدبّرِ هو القادرُ على إيجاد الحلّ وإنقاذِ الملياراتِ من البشرِ، وها هو المختص أصبحَ له حضورٌ في القنواتِ التلفزيونيةِ، وأصبحت الناس تنتظرُ كلمةً من فمِ الطبيبِ لا من فم السياسيّ.

ساعدَ الوباء الشركاتِ أن تفكّرَ من خلالهِ بطرقٍ لإعادةِ خطوطِ إنتاجها ولمزاولةِ الربحِ حتى لو كان قليلاً فلجأت شركاتُ تصنيع السياراتِ إلى صناعة أجهزة الإنعاشِ والتنفّسِ وأجهزة حماية الوجهِ والعين.

لقد حقّق وباء كورونا المساواةَ على الأرضِ، تلك التي لم تتحققْ في يومٍ من الأيامِ، لقد ساوى بين الكبيرِ والصغيرِ، بين الرجلِ والمرأةِ، المؤمن والملحد، الغني والفقير، المسجون والطليق، المريض والسليم، لأنه أصابَ كلَّ تلك الأجناس. فضلاً عن المساواةِ، فقد تسبب بوحدةٍ عجيبة بين الأممِ والشعوبِ كلّها؛ المتفقة والمختلفة بحيث اتفقت الآن جميعها ولو لحين على إيجادِ طريقةٍ لمصارعةِ ومنازلةِ هذا الفيروس والتغلبِ عليه.

كذلك قد وجّه الوباءُ الناسَ لاستنباطِ وسائل للتحية والاحترام سواء بالوقوفِ في الشرفاتِ والتصفيق للآخر أو بإشعال الأضواء والشموع أو بالعزفِ ليسمعَ ويشاهدَ مَن يسهرُ لأجلهم ويخدمهم بحياتهِ. هذه الملحمةَ التلقائيةَ

العفويةَ الإنسانية التي لم تكن لتظهرَ لولا هذا الظرف العصيب، وهذا شيءٌ باهر الجمالِ وفّرته ظروفُ الحجْر، جعل العالمَ يعزف أيضاً سمفونية الرجاءِ والتوسلِ والابتهالِ لأجلِ الإنقاذِ.

والسؤالُ الذي يطرحُ نفسهُ: الآن هل سيتّعظ الإنسانُ ممّا جرى ويعيدُ حساباتِه مع نفسه أولاً ومع المحيطين به ثانياً ومع الحياة ثالثاً أم سيعودُ لما كان عليه قبل الكورونا؟ وهل سيستثمرُ الإنسانُ هذه التجاربَ والدروسَ في حياته ما بعد كورونا وهل سيتعلّم من هذا الدرسِ؟ سؤال ستجيب عنه الأيامُ القادمةُ.

## د عبد الحميد صيام

# نيويورك في زمن الكورونا



نيويورك درة المدن الأمريكية وعاصمة الدبلوماسية العالمية وأكثر المدن الأمريكية استقبالا للسياح. تضم عشرة ملايين ساكن وأربعة ملايين إضافية يدخلونها يوميا عاملين وزوارا. لا تنفك المدينة تبهرك بما تحتوي من كنوز ثقافية وأنشطة فنية ومعالم سياحية جاذبة للعين ومريحة للقلب.

تغيب عنها وتشتاق لها ولسحرها وجمالها وتنوع سكانها وروعة حدائقها وثرواتها الفنية والثقافية التي لا حدود لها. تنتقل بين أحيائها الخمسة فترى الفقراء والمهمشين والمشردين الذين حرفيا ينامون في الشوارع، وعلى بعد عشرات الأمتار ترى الشقق الفارهة والفلل الثمينة التي تقدر بالملايين.

نيويورك كأنها مدينة فوق الأرض وأخرى تحتها. ناطحات السحاب العديدة تتسابق نحو الذرى كل واحدة تريد أن تزيد المدينة بهاء وجمالا. بعض هذه المباني الضخمة يتسع لسكان دولة من دول المحيط الهادي أو الكاريبي. أكثر السحابيات الجديدة تتسابق في عرض الإضاءات الملونة حسب المناسبة. لكن بناية «الإمبير ستيت» تظل درة في الجمال والنسق الهندسي الفذ في وسط منهاتن فخورة بريادتها حيث تربعت على عرش البنايات الأعلى في المدينة لنحو أربعين سنة إلى أن أطاحت بتفردها عمارتا مركز التجارة العالمي عام 1971 واللتان أطاح بهما ثلة قدموا من طورا بورا، على ذمة الراوي.

* * *

المدينة تعج بالحركة الدائمة. ملايين من البشر يتحركون بسرعة كل يريد أن يلحق بقطاره. كل أنواع المحلات التجارية تجده في تلك المحطات. غريب أمر هذه المدينة. كل شيء فيها مزدحم. الحافلات والقطارات والمطارات والمسارح ودور السينما والمطاعم والمقاهي والمتاحف. أينما تذهب يجب أن تقف منتظما في الطابور الذي يمتد أحيانا لعدة شوارع إذا كان الفيلم جديدا أو السوق التجاري يعرض عددا من السلع بأسعار مخفضة، أو إذا كانت إحدى المغنيات المشهورات ستظهر على مسرح ماديسون سكوير المشهور.

تايمز سكوير قلب المدينة النابض يستقبل رأس كل سنة مليوني متفرج لمشاهدة انفراط عام وميلاد آخر. بعض المسرحيات الشهيرة تحتاج إلى حجز مسبق لعدة شهور وربما سنوات. فمسرحية «شبح الأوبرا» بدأ عرضها الأول عام 1988 وما زالت مستمرة إلى أن أوقفتها جائحة كورونا. ومسرحية «الأسد الملك» بدأت عروضها عام 1997 وقد شاهدها لغاية ما قبل كورونا 60 مليون متفرج.

**المدينة الخاوية**

كأنها مدينة أخرى في عصر الكورونا. إنها مدينة أشباح. لا تسمع في شوارعها إلا صفير سيارات الإسعاف أو أزيز سيارات الشرطة. الفيروس انتصر على «التفاحة الكبيرة» كما تسمى هنا. بل وعلى الدولة الأعظم في العالم. أقعد الناس في بيوتهم وأغلق محلات المدينة الكبرى بما في ذلك مايسيز (Macy's) الذي كتب على إحدى جوانبه «أكبر محل تجاري في العالم».

كورونا فرغ شوارع المدينة وشل حركتها. تنحني أمام الفيروس وتسلم مفاتيحها وتختبئ في جحورها ولا تسمع في شوارعها إلا صفارات سيارات الإسعاف المخيفة وهي تنقل المصابين إلى غرف الطوارئ بالمستشفيات لتنقلهم بعد حين إلى المقابر. مستشفيات المدينة البالغ عددها اثنين وثلاثين لم تعد تستوعب الحالات، فنصبت خياما في ساحاتها لاستقبال المرضى في انتظار أسرّة فارغة. ومهما كانت طاقتها، هي غير مؤهلة للتعامل مع أعداد كبيرة جدا من المرضى، ما أدى إلى بلوغ الوفيات حاجز الألفي ضحية في يوم واحد والمدينة سائرة نحو الذروة.

الخيام في ساحات المستشفيات تستقبل المصابين وتوزع الموتى على الشاحنات التي تحملهم إلى المقابر دون مراسم أو صلاة أو عزاء. يعطون أرقاما ويدفنون في جزيرة هارت (Hart) المخصصة لموتى الأرقام. أقيمت المستشفيات الميدانية في «الحديقة المركزية» وأضيفت إلى موانئ نيويورك سفينتان بسعة ألف سرير لكل واحدة. لكن الأمور تفاقمت أكثر وظل المؤشر يتجه إلى أعلى إلى أن احتلت الولايات المتحدة المركز الأول في العالم في عدد المصابين بوباء الكورونا وعدد الوفيات، واحتلت مدينة نيويورك الرقم الأعلى في البلاد، واحتل حيّ كوينز في المدينة الرقم الأعلى بين أحياء المدينة الخمسة.

* * *

بدأ الوباء يخطف أحبابنا وأصدقاءنا. يطيح برفاقنا ويرمي بهم بالمستشفيات التي لم تعد تتسع إلا لأنصاف الموتى. نتصل يوميا بعشرات الأصدقاء والأقارب والزملاء للاطمئنان عنهم والتأكد من خلوهم من الوباء أو تماثلهم للشفاء. بعضهم ما زالوا في غرف العناية المركزة لا يستطيعون الكلام وبعضهم في غرف مغلقة معزولة في بيوتهم لا يتعاملون مع أحد، ولا أحد يتعامل معهم إلا من وراء الأبواب الموصدة.

ترحمنا على صديقنا العزيز الدكتور سيف تيتي صاحب الباع الطويل في العمل الوطني والخيري في الجالية العربية في نيوجرسي، وأحزننا رحيل حسن مسعود، مصور الفيديو لكافة أعراس الجالية صاحب الابتسامة الهادئة والخلق الرفيع. وكم أوجعتنا وفاة السيدة فاتن أم أحمد التي رحلت وأطفالها الثمانية لم يتمكنوا من البكاء على رمسها. وترحمنا على صديقنا الصحافي الصديق منصور تدرس الذي ظلت صحيفته «المستقبل» منبرا لكل ما يخدم القضية الفلسطينية وشؤون الجالية العربية في شيكاغو. وكم أصابني الحزن على رحيل صديقي ومديري السابق بالمنظمة الدولية راندي كلاين-توماس من غامبيا حيث استمرت صداقتنا بعد أن ودعنا المنظمة الدولية. على أرواحهم جميعا وأرواح ضحايا الكورونا السلام الأبدي والرحمة الربانية.

* * *

تكاد الجريمة تختفي من المدينة. الشرطة في كل مكان لإلزام الناس بالحظر. الناس في بيوتهم والمحلات التجارية مغلقة تماما وكاميرات الحراسة المرتبطة بمراكز البوليس تردع كل من تساوره نفسه باختراق الأبواب. لكن الحظر أدى إلى مجموعة ظواهر:

الظاهرة الأولى هي ارتفاع موت كبار السن في بيوتهم على هامش الموت. لقد بلغ عدد الأموات الذين يُبلّغ عن وفاتهم في بيوتهم بسبب العزل والخوف من المرض بين سبعة وتسعة أشخاص في كل نوبة عمل تمتد لثماني ساعات. لقد أصبحت ظاهرة الموت في الشقق مقلقة لقيادة الشرطة لكن ليس لديهم القدرة في ظل ظروف الطوارئ الحالية للتعامل معها إلا من خلال إنشاء وحدة تقوم على المتطوعين.

والظاهرة الثانية هو ارتفاع نسبة الوفيات بالسكتة القلبية. أحد الأطباء شرح لي هذه الظاهرة قائلا إن الناس متخوفون من المستشفيات، فكم ذهب إليها صحيحا وخرج مصابا. فمن يصاب بسكتة قلبية خفيفة أو متوسطة يتردد في الذهاب إلى المستشفيات خوفا من العدوى فتتفاقم المشكلات القلبية وتقضي على أصحابها. المستشفيات وكل احتياطاتها لم تحم كثيرا من الأطباء والعاملين في المجال الصحي.

صديقي الطبيب الفلسطيني محمود أكد لي أن معظم الأطباء والعاملين في المجال الصحي يحملون الفيروس وربما لا يعلمون فبعضهم يتعافى دون أن يعلم أو تكون عوارض المرض خفيفة يمكن التخلص منها بالحجر فقط. لكن الممرضين والممرضات في وضع أكثر خطورة. فمقابل ثلاثة أطباء أصيبوا في مستشفى ستاتن آيلند هناك 122 أصيبوا من مجموعات المساعدات الطبية والصحية في المستشفى.

والظاهرة الثالثة انتشار الموت في دور رعاية كبار السن. تقطعت بهم السبل عن أقاربهم وأهملتهم الولاية والدولة بحجة أن رعايتهم مسؤولية الدار نفسها. وقد انتشر الوباء بين دور المسنين وأدى إلى موت 2000 منهم في المدينة لوحدها، بينما مات في كل الولاية 3500 مسن. وكم تعرض حاكم الولاية أندرو كومو واتهم بالنفاق عندما قال: «لن أضع والدتي الآن في بيت المسنين».

* * *

فرضت الكمامات على الناس بعد أن أغلقت كافة المحلات التجارية إلا المستثناة من قرار الإغلاق. الشوارع خالية إلا من بعض الأفراد الذين يخرجون للتسوق. كل شيء يخضع لقوانين الطوارئ الذي أعلنه العمدة بيل دي بلاسيو. الصيدليات مفتوحة وستبدأ قريبا بإجراء الفحص محليا. عندما يكون الطقس مناسبا، وهو الاستثناء، ترى الرجال والنساء يمارسون رياضة المشي أو الركض في الحدائق العامة.

الناس ملت من الجلوس في البيت. لكن هذه الممارسة حملت معها فوائد كثيرة إضافة إلى لم شمل العائلة حول مائدة واحدة. علمتنا أن هناك كثيرا من الممارسات التي أصبحت جزءا من الروتين للمرأة والرجل يمكن الاستغناء عنها. ليس بالضرورة أن نخرج للمطاعم كل يوم. ولا أن نبقى وراء عجلة القيادة معظم ساعات انهار. وقد نعود لنقص شعورنا بمساعدة من في البيت.

وليس مهما أن نذهب إلى الحلاق ومحلات قص الأظافر والتدليك والنوادي الرياضية. كل هذه الأمور ممكن عملها بدون تكاليف. ونستطيع أن نزور أحبتنا ونراهم بعيوننا لكن عن طريق سكايب أو زوم أو فيستايم، بل ويمكن عقد مؤتمرات ومحاضرات ودروس وتمارين رياضية من البيت وبواسطة التكنولوجيا وبدون تكاليف. ويمكن شراء قمصاننا من الشبكة أيضا، وليس من الضروري أن نذهب إلى نوردستوم أو لورد آند تايلور.

أكيد ستغير الجائحة أشياء كثيرة فينا ونتمنى للأحسن، فبعد مرورها على كل منا أن يستخلص دروسا إيجابية تعلمها أثناء الحظر ويكتب مجموعة أوراق تحت عنوان: «الحياة أيام كورونا».

**د. أصيل الشابي**

# أيّام الكرنتينة



لم تعد الحياة عاديّة منذ أن انتشر وباء كرونا، هناك حالة طوارئ تشمل الجميع. لم أتخيّل ولو للحظة واحدة، أنّني سأحيا حالة شبيهة بما نحياه اليوم، ها هي الحياة الجماعيّة تتراجع بشكل غريب، لا يُمكنني في ظلّ الحجر الصحّي الذي تفرضه الدولة أن أتنقّل بحريّة بين مدينة وأخرى أو في مدينتي ذاتها، وأصبحت أشاهد بأمّ عيني سيّارة الشرطة تجوب الشارع محذّرة من الخروج إلى الشّارع.

لن أنسى مشهد سيّارة الشرطة ذات عشيّة متبوعةً بمركبة عسكريّة لمراقبة تطبيق حظر التجوّل الذي يمتدّ من السادسة مساء إلى السادسة صباحا. أوحت لي حزمة التدابير المتّخذة للوقاية من الفيروس بأجواء حرب فعليّة، ففي الحرب ينتقل الناس من الخارج إلى الدّاخل، وتغيب الحريّة الفردية حتّى فيما يتعلّق بحقّ أساسيّ كالتنقّل.

حرصت دائما على القيام بجولة صباحيّة اعتبرتها ضروريّة لرياضة الجسم والذهن، أمرّ بساحات مدينتي الموريسكيّة، أقف قليلا في بطحاء جامع الثغري، وأنظر إلى الساعة الكبيرة أعلى صومعته التي يأتي الزوّار لمشاهدة عقاربها التي تدور عكس عقارب الساعات العادية، قبل أسابيع قليلة كان هذا المكان غاصّا بزوّار المدينة من التونسيين والسيّاح الأجانب.

أمرّ في صباحاتي بالبساتين المحيطة بمدينتي، أتتبّع المسالك بدرّاجتي الهوائيّة، فأشعر براحة كبيرة وأنا على مقربة من أشجار الرمّان والتوت والمشمش

والزيتون التي اخضرّت. لا أعرف ماذا كان يحدث لي لو كنت من ساكني مدينة كبيرة ملوّثة ومزدحمة بالناس.

في مدينة صغيرة مثل مدينتي يمكن للناس أن تتفاعل مع أيّ قرار جديد حتّى وإن كان قرارا حربيّا، فحميميّة اللّقاءات لا تقدر الإجراءات الوقائيّة على كسرها إلاّ إذا كان الأمر يستدعي ذلك، فالأفراد معروفون لبعضهم البعض، وإذا كان هناك ما يدعو لعزلة حقيقيّة صارمة فلن يتخلّف أحد عن الامتثال، أحيانا يمدّ لي الأصدقاء أيديهم في بداية الأزمة فلا أتردّد في مصافحتهم، عندما رآني الناس لاحقا واضعا كمّامة نظروا إليّ مستنكرين.

عندما حاولت في الأيّام الأخيرة التقيّد بمسافة الأمان بيني وبين غيري أمام المخبزة أو المغازة أو الصيدليّة أدانتني النظرات، قرّرت في النهاية أنّ أفضل تدبير هو التنقّل في الصباح عندما تكون الحركة خفيفة ومسافة الأمان مضمونة.

أعتقد أنّ استراتجيّة عزل المصابين بكوفيد19- في أماكن حجر ترعاها الدولة وتتبّع السلط لمخالطي المصابين حالت دون انفجار الوباء بين الناس، وقد بعثت فيّ هذه الاستراتجيّة الشعور بالأمان إلى حدّ كبير.

لقد قيّد كوفيد19- حياتي إلى حدّ كبير، فقد حرمني التباعد الاجتماعي من المشاركة في ملتقيات هامة، وحرمني، وهذا أهمّ، من تدريس تلامذتي والتوجّه إلى عملي في كلّ صباح. وفرض الأمر عليّ تحديات كبيرة، كيف يمكن أن أتواصل مع تلامذتي في ظلّ صعوبة التواصل الافتراضي الذي يخضع عادة للمزاج والرغبة لا للالتزام كما في التواصل النظامي العادي.

الشباب يقبل على الألعاب -الغايمز- التي تُنظّم لها مباريات ضخمة وطنيّة ويأتيها المناصرون والمشاركون من كلّ مكان أكثر من أيّ شيء آخر، ولكنّه لا يلتزم بحضور درس باستعمال تطبيقة رقميّة.

أكتشف الآن أنّ التعليم الرّقمي يأخذ مكانة استثنائيّة، لأنّه يكفل إمكانيات التواصل من بعيد، ولكنّه في نفس الوقت يحتاج إلى بنية تحتيّة قويّة من الناحية الفنيّة، كما يحتاج إلى تجاوز فكرة أنّ العالم الافتراضي في المستوى الاجتماعي الواسع لا يزيد عن التسلية وتمضية الوقت. أرى انطلاقا من هذه

التجربة أنّ الرقمنة في حاجة إلى مأسسة حقيقيّة عندنا لتجاوز ظروف مماثلة لما يحدث الآن قد تطرأ في المستقبل.

أنا حزين بسبب تأجيل معرض تونس الدولي للكتاب، فهو مناسبة كبيرة يمكن للمرء أن يرى فيها الكتب الجديدة ويحضر محاضرات قيّمة ويتواصل مع الناشرين ويتبادل الأفكار مع أصدقاء لهم خبرة ونظرة استشرافيّة. ولكنّ التجربة الحاليّة علّمتني السّفر الاضطراري بخيالي، فهو يسمح لي بمغادرة المكان إلى أمكنة كثيرة زرتها، ولعلّ المكان الذي ألحّ عليّ أكثر من غيره متحف الكاتب الفرنسي أنطوان دون سانت إكسوبيري بمدينة طرفاية المغربيّة التي زرتها من ثلاث سنوات، علمت هناك أنّه كان طيّارا يحمل البريد إلى غرب إفريقيا، وكانت قصّته الأمير الصّغير قد انطبعت في ذهني. ربّما تراودني صوره، أيضا، لأنّني أشعر بأنّ طيران الإنسان تعبير عن الحريّة في الأصل، وهو طيران في الفضاء الرّحب وليس عزلة في قمرة في سفينة فضائيّة في زمن الكوفيد19- حيث ينتظر الناس المصل ليُحقنوا.

أتجوّل في كلّ صباح باكرا، عابرا مدينتي، أمرّ بساحاتها ومعالمها وأتأمّل مزاراتها وأبوابها الكبيرة وأنهجها وساحة الكوريدا القديمة في أقدم حيّ موريسكي، أمرّ بعد ذلك إلى بساتينها المورقة في الرّبيع، ثمّ أعود إلى البيت وأعكف على مراجعة بعض الكتب، أوزّع اهتمامي بين الرواية والقصّة القصيرة والبحوث، يرافقني الكاتب التركي عزيز نيسين وإميل حبيبي. إنّهما يملكان ردّة فعل عميقة تجاه المجتمع والناس، أنجذب لسخريتهما، وأتذكّر بقوّة الرّائع أمجد ناصر، أتذكّر بوجه خاص ما كتبه من سنين طويلة في مجلّة بلسم الفلسطينيّة عن الوجع الفلسطيني، وأشاهد فيلم الطّريق لفيديركو فلّيني، أشاهد أيضا أفلامه الأخرى مثل المهرّج والحياة العذبة، وأقرأ أخبار الزمان للمسعودي لأنّ الوباء الحالي خبر كبير في تقديري يذكّر بالأخبار العظيمة التي مرّت بها البشريّة في مفاصل تاريخها.

أقرأ تاريخ الحرب لجيفري باركر ومقاطع من تاريخ المجتمعات الإسلاميّة لإيرا لابيدوس المؤرّخ المتخصّص في تاريخ الشرق الأوسط والعالم العربي والذي يدرّس في جامعة كالفورنيا. أريد أن أنوّه بقيمة هذا الكتاب لاعتبارات عديدة

منها أنّه يحمل نظرة لتاريخنا في حقبه المختلفة وتحليلا جديرا بالتأمّل، الكتاب في طبعته الثانية ولم أجده معرّبا، وأعتقد أنّ تعريبه من الأولويات، وينبغي على معاهد الترجمة أن تضعه في جدول أعمالها لتحريك التفاعل الحضاري وتعميق البحوث البينيّة.

في ظلّ الظروف الحاليّة اقتربت أكثر من أسرتي، فقرأت مع ابنيّ بعض القصص، وكنت أطلب منهما تجسيدها وإبداء المواقف حيالها، وعملت معهما على تطوير معرضين رقميين الأوّل خاص بالحيوانات النادرة في العالم والثاني خاص بأشجار الزينة في المدن، اتّسم العمل بالكثير من المرح وروح المسؤوليّة، وقد فاجأتنا الطبيعة بأسرارها العملاقة التي تعلّمنا منها الكثير بالتأمّل والمتابعة.

الحجر الصحّي العام، أو ما عرف في أدبيات الرحلة بالكرنتينة، فترة صعبة تمنعني من ممارسة أشياء كثيرة، ولكنّي أصبحت قادرا أكثر على تقييم نفسي والمجتمع، إنّها تجربة فريدة سترتدّ عليها التحليلات الفكريّة والنفسيّة والاجتماعيّة والسياسيّة في المستقبل.

وقد بدأت بعد المخابر العلميّة في إنتاج بحوث عن خصوصيّة الخطاب في أيّام الحجر وعلاقة العلم بالشعبويّة والدعوة إلى التضامن في الفضاء العمومي والعلاقة بين الطبّي والاجتماعي والعلاقة بين الطبّي والتجاري، وحدود العلاقة بين الفرد والجماعة وكيف ينظر الفرد إلى محيطه وكيف ينظر المحيط الاجتماعي إلى الفرد، أسئلة كثيرة وعميقة تدور في رأسي وتؤلّف موضوع دراسات وبحوث.

أعتقد أنّ كلّ هذا يؤلّف ما يمكن تسميته بأدب الحجر الذي يشمل محادثات الحجر وكتاباته وسلوكه، وهو قريب ربّما من أدب الحرب لأنّ قاسما مشتركا بينهما لا يخفى وهو تعطّل سير الحياة العاديّة والتأهّب المستمرّ لما قد يحدث من طوارئ، من كان يتصوّر أنّ الحجر الصحّي العام سيكون أبلغ صورة على العولمة؟ من كان يتصوّر أنّ أيّام الكرنتينة ستهبّ بهاته القوّة في العصر الاتّصالي؟

## هيام فؤاد ضمرة

# الحجر الاجتماعي: جانب إيجابي



منذ اللحظة التي أعلن فيها عن ظهور فايروس كورونا المستجد في الصين، وإرسال حكومة الأردن طائرة لإعادة المواطنين الأردنيين إلى الوطن قبل استفحال انتشاره وتحوله إلى جائحة غير مسيطر عليها، لم أترك وسيلة إعلامية إلا وتتبعتها بهوس، ليس من مدخل خوف، بل من مدخل الرغبة باستكمال مظاهر الوعي من خلال فهم الفيروس واستيعاب هويته، وطرق انتشاره، ونسبة إمكانية النجاح بعلاجه، وهذا ما فتح أمامي فكرة طرق الوقاية منه في حدود الإمكانيات.

وعليه اتخذت قرار تجميد النشاط الثقافي الأسبوعي للملتقى، خاصة بعدما لاحظت صعوبة توقف الجميع عن سلام الأيدي وعادة تبادل التقبيل على الوجنتين. وكتبت لأعضاء الهيئة الإدارية بقراري، فأيدوه بإجماع كخطوة واعية للسيطرة على جماح هجمة الفيروس، وكتبت نص الإعلان، وقام المسؤول الإعلامي بنشره على المواقع الإخبارية وعلى صفحاتنا الشخصية على الفيسبوك.

وابتدأت بنظام الحجر على نفسي قبل أكثر من أسبوع من إعلان الدولة، واتخذت من بيتي ملاذي الآمن الذي يقيني الاختلاط، وقمت بتوفير مستلزمات البيت الضرورية للمعيشة حتى الأدوية الرئيسية من باب إحساسي بالمسؤولية، ووضعت لنفسي نظاما بحيث أجعل كل وقتي فرصة مستفادة، إن كان من خلال القيام ببعض الترتيبات المنزلية التي كانت تنتظر تفرغي لها، أو بالنسبة

لقلمي وحاجتي للكتابة والبوح، وتنظيم مواد لأكثر من كتاب وتجهيزها للطبع، مما كنت لا أجد له الوقت في سابق الأيام.

وأكثر ما أسعدني أن ابنتي وجدت طريقة هي وصديقتها في لبنان أن تبقيا بينهما الكاميرا مفتوحة لقضاء الوقت إما بالحديث وتبادل المعلومات، أو باللعب بإحدى الألعاب الإلكترونية المسلية. واتفقتا أن تتناولا وجباتهما في ذات الوقت وكأنهما على سُفرة واحدة، مما شجعهما ذلك إلى الاجتهاد ودخول المطبخ وتعلم أساليب جديدة بالطبخ وتطبيقها، وكلتاهما لم يسبق لهما دخوله إلا لتناول وجبة الطعام.

ومن الطبيعي أن أتبادل أنا أيضا الصباحات والمساءات مع والدتها وأهل بيتها، وكذلك كنا نفعل مع بناتي في بلدان اغترابهن. وحتى تلك الموجودة في عمان لا تشعر بالوحدة، خاصة أن زوجها الذي عاد من دبي في الحملة الأولى كان يقضي فترة الحجر في فندق على شاطئ البحر الميت.

ورغم أني انهمكت بتقسيم وقتي ما بين القراءة والكتابة، وتفقد الصحب والأهل، والقيام بالواجبات المنزلية، وكان الوقت يمضي معي دون تسربات للملل، إلا أني ظللت على تتبع مستمر للأخبار المحلية والعالمية. وأشد ما أسفت له هو لأولئك المرضى الذين يتقصدون بث الأخبار المزيفة، التي فاضت بها مواقع التواصل الاجتماعي بشكل عجيب، وكأنما نجاحهم بتشوية الحقيقة يجعلهم بانتشاء غريب.

كذلك الأمر بالنسبة إلى أولئك الذين يمتلكون أجندات خاصة سياسية أو فكرية تدميرية للعقل، بحيث يثيرون فوضى التفكير الخاطئ، ويبعدون الناس عن تلقي الحقيقة وامتلاك التوازن العقلي بالتفكير واتخاذ القرارات الصائبة، وبرمجة العقل بغير متطلبات الوعي.

كتبت مقالة مطولة بهذا الباب ونشرتها، وتابعت كتاباتي للمقالات والنشر رغم ملاحظتي هروب الناس عن القراءة الطويلة، وتفضيلهم استقبال الرسائل القصيرة، حتى لو كانت مجتزأة وغير متكاملة وأحياناً كثيرة مزيفة، الناس باتت ملولة لا تحتمل كل شيء يأخذ منها الوقت رغم غرابة ما تشكوا منه، ألا وهو الملل، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الغالبية العظمى

من الناس افتقدت إحساسها بمنح ذاتها التمكن من الحياة بنجاح، أو امتلاك العزم للارتقاء الذاتي من خلال تجهيز العقل وتأثيثه بالوعي والفكر المستنير.

يبحث الناس دوماً عن المعلومة الجاهزة المكثفة دون التحقق من صدقيتها، وكل ما هو جاهز مسبقا دون تفعيل للعقل بما يملأ الوقت بالإيجابيات، هذه الطريقة وملاحظة تعميمها جعلت شعوبنا مثقلة بالهموم ومتلقية فقط للمعلومة زيفها وصحيحها بنفس القيمة، فقد باتت العقول تعاني الترهل كما أجساد العجائز، لا تمارس الجدية بحياتها، تنظر للأمور بسطحية واضحة.

حين كنت أتلقى مكالمة من احدى الصديقات وتبدأ ببث مشاعرها السلبية بالشكوى من الملل الذي يطبق على أنفاسها، وأضيع أنا الكثير من الوقت لدعمها النفسي لترفع من معنوياتها، كنت سرعان ما أفاجأ أنها لا تلتزم بالحجر الوقائي، وتتسرب خارج منزلها بكل الطرق الممكنة، وما فشلت بتحقيقه من التعرف على جيرانها بالمجمع السكني الذي تعيش به منذ حوالي عامين، فقد تمكنت بفترة الحجر الوجيزة أن تلتقط كل مار عند مدخل المجمع، وكل رأس يطل من على شرفة شقته، لإلقاء التحية ونثر عبارات تفتح بها مجالا لتبادل الحديث، لتجد نفسها تلك الجارة تقول لها من باب اللياقة تفضلي اشربي فنجان قهوة. وسرعان ما تتقارب المسافات ليصبحن أكثر تقارباً وربما انسجاماً. حقا هو إجراء قد يكون إيجابيا بين الجيران في حدود المعقول، لكنه لن يكون كذلك على المدى الطويل.

إن فكرة المكوث بالبيت في وقت الحجر الوقائي الصحي، ليست حالة معاناة وملل وشكوى من الضجر عند أصحاب العقول الممتلئة، فقد كان الوقت عندهم ثمينا للتفرغ لأعمال تمنوا التفرغ لها في سابق العهد، فالإنسان إذا ما تحرر عقله عن جسده المادي يصبح إنساناً متميزا بقراراته وإنجازاته وإدارة وقته وتفعيل عقله بالإيجابيات.

ما معنى العجز مع التقدم بالسن عند الإنسان؟ هو استسلام العقل لعملية حدوث الشيخوخة بالمعنى الرئيسي، أي هي عملية عقلية بالدرجة الأولى، تؤدي إلى عملية برمجة سلبية للعقل وحدوث تراكمات لها، تترك أثرها على الجينات، فيبدأ حينها الحطام الخلوي بالتراكم أيضاً مما يجعل الخلايا

بطيئة، فيبدأ الجسم بالتراجع بكل أعماله الطبيعية نتيجة الترهل وضعف العضلات وضعف النظر وتهتلك المفاصل، ويبدأ الجهاز المناعي بالتدهور شيئا فشيئا إلى أن يحدث الموت.

هنا ما يؤكد أن الخوف من الفيروس والضجر والشكوى من المكوث في المنازل، إن هو إلا تخليق عقلي سلبي يأخذ صاحبه نحو التهلكة، والأمر الإيجابي أن الخلايا التي يدمرها عقل الإنسان، هي نفسها أيضا قابلة لأن تصحح ذاتها وتشفي نفسها، وتخرجها من تسارع الشيخوخة بأن تنجح بالتغلب على سلبيات تفكيرها، وعدم الاستسلام لحالة الضجر، وإيجاد وسائل تغني عن كل ما هو سلبي. وعقل الإنسان ليس بقاصر عن إيجاد وسائله المناسبة لطبيعته.

فراس حج محمد

# كورونا وإعادة بناء لغة العالم وتفكيره



هل أفادتني جائحة كورونا بما يكفي لأكتب حول فائدتها العظيمة؟ أو هل أضرتني الجائحة لأكتب فيها أيضا؟

ربما كنت شخصا من كثيرين لم يتأثروا كثيرا بالظروف الطارئة لعدة أسباب، منها أنني بطبيعتي منعزل، فلم أشعر كثيرا إلى حد القلق أن لها أثرا سلبيا أم إيجابيا عليّ. أنا شخص بطبيعتي لا أشارك في شيء من أمور المجتمع، حتى الصلوات الجامعة؛ العيدين وصلاة الجمعة لا أذهب إليها، مع أنني أواظب على الصلاة منذ سن العاشرة.

لعل ما أفادتني به كورونا، وأنا هنا أحب أن أعاملها معاملة المؤنث، لا أدري لماذا، ولكنها تبدو أقرب للمؤنث، ليس بوصفها «مصيبة» طارئة، وأكلت كثيرا من أبجديات الحياة المعاصرة، ما أفادتني به هو هذا التفرس اللغوي بها وبظاهرتها، كوني دارس لغة ودرّست اللغة أكثر من عقد لمراحل مختلفة، وكوني أيضا مشرفا تربويا أتابع لغة المتحدثين، وأحاول تأطيرها أولا ثم إعادة تفكيكها لأصنع «تقريرا» حول ذلك الأداء اللغوي للمتحدثين بها داخل الغرف الصفية.

رحل معي هذا الاهتمام وأنا أتابع نشرات الأخبار، وقد قررت أن تكون محطة فضائية واحدة هي مصدري الوحيد من المعلومات حول تطورات الوباء، وتمدده. مع علمي المؤكد أن كل القنوات تبث الأخبار ذاتها بالمصطلحات نفسها.

لا شك في أن كورونا، بوصفها وباء عالميا، شكلت شيئا فشيئا معجما لغويا يشير إليها، ويرتبط بها، خاصة في الظرف الحالي وفي هذا السياق التاريخي. تعود إلى وعيي نظريات تشكل اللغة وولادة المفردات وبناء المصطلحات.

أتذكر شيئا من هذا مثلا أيام الانتفاضة الأولى عام 1987، وكنت حينها فتى لم أتجاوز الرابعة عشرة من عمري، كيف دخلت مجموعة من المفردات إلى القاموس اللغوي الإعلامي خاصة بالفعل الفلسطيني على الأرض، وقل الشيء نفسه مع كل أفعال حركات التحرر العالمية، أو ما أنتجته «ظاهرة الإرهاب» من مصطلحات تتردد في الإعلام وقت بروز الظاهرة، وهو عينه مثلا ما أنتجته حركة الإسلام من مصطلحات خاصة انتقلت إلى اللغات الأخرى كما هي.

وهذا من طبيعة اللغة المتجددة الحية، فثمة ألفاظ تولد كل عام، وتسمى المولدة، وأخرى تموت وتصبح «مهملة»، وأخرى تتطور في معناها، فتفارق دلالاتها الأولى إلى دلالات أخرى، وهذه قوانين لغوية شائعة في كل لغة، وليست اللغة العربية وحدها، فقد كنت ألاحظ مثلا زيادة مفردات جديدة في كل طبعة على قاموس «المورد»، وهو معجم لغوي (إنجليزي-عربي).

لقد فعلت كورونا الشيء نفسه. لقد فرضت على اللغة الإعلامية مجموعة من الألفاظ والمصطلحات، بعضها موجود أصلا ويستخدم في مع غير كورونا، كوباء وجائحة، ومصاب، ومتعافٍ، ومحجور، وحجر صحي، وعزلة ومنع تجول، وكمامة وقفازة وتعقيم وعينات وفحصات، وأخرى انتشلها الإعلام ليعيد استخدامها بكثرة مع إجراءات الوقاية، وأعراض المرض من ارتفاع درجة الحرارة والعطس والسعال، وضيق التنفس، وأخرى ربما فرضت كورونا استخدامها بشكل خاص في ظرفها الطارئ هذا، وذلك من مثل مخالطين، وحجر منزلي، وكوفيد 19، ومصطلح «التباعد الاجتماعي». بل امتد الأمر إلى تعريب لفظ كورونا وإخضاعه إلى قوانين اللغة العربية، فخضع الاسم إلى الاشتقاق، فصار يطلق على المصاب بكورونا لفظ «مْكورن».

لقد أصبحت اللغة معبأة بتلك الألفاظ، ليس في الإعلام فقط، بل في لغة الأدب شعرا ونثرا، وصارت الحساسية اللغوية عالية في التعبير عن ظاهرة كورونا التي تجاوزت حدودها الصحية لتصبح ظاهرة لغوية بامتياز، فمن

الطبيعي أن تقرأ مقالات فكرية وسياسية ونصوصا محشوة بألفاظ المعجم الكوروني، وامتدت الظاهرة إلى اللغة الشعبية، فظهرت النكات الشعبية التي تنضح بألفاظ الكورونا، وتوليداتها اللغوية.

واتجهت المخيلة الشعبية إلى صناعة أمثال على هدي من الأمثال القديمة المتعارف عليها، وبالتالي فقد اكتسبت كورونا حضورا لغويا عاما وثقافيا، وجد المرء تجلياته في بعض الأغاني الشعبية الطريفة أيضا التي ركّبت للألحان القديمة المشهورة كلمات تناسب هذه الزائرة التي تزور كأنها بلا حياء، على عكس زائرة المتنبي عندما أصيب بالحمى يوما ما، وكتب فيها قصيدة استحضرها النقاد أيضا مع غيرها من الأعمال الأدبية التي تحدثت عن الأوبئة. بل وشملت الحياة الثقافية فصار لكورونا آثارها في الأعمال الفنية التشكيلية ورسوم الكاريكاتير في الصحف والمجلات، وتوجهت بعض الندوات لمناقشة حضور الأوبئة في المدونات الأدبية العالمية.

لقد كان لكورونا آثار سيئة أيضا على الحالة الثقافية، فثمة كتب توقفت عن الصدور في انتظار الخلاص، ومجلات ورقية أرجئت لحين الخروج من هذه الحالة، وثمة صحف تقلصت إلى ما دون النصف في عدد صفحاتها. لقد انتعشت بالمجمل الثقافة الإلكترونية والنشر الإلكتروني، والتعليم الإلكتروني والتسويق الإلكتروني والاجتماعات الإلكترونية والعبادات الإلكترونية بفعل السيدة كورونا.

لم تكن كورونا ظاهرة وباء عارض، بل وباء له ثقله المرعب في الحياة بأنشطتها الحيوية كافة، فربما وجد الدارس بعد حين أن هناك اقتصادا كورونيا، وأن لهذه الجائحة أيضا تمددات وآثارا بيئية واجتماعية، وتعليما في ظل حالة كورونا التي فرضت نمطا من التعليم الإلكتروني وغير الوجاهي، ودفعت الجميع إلى التفكير الجدي بوسائل وأساليب تتعايش مع هذا الوضع الذي لا يعرف له نهاية حتى الآن، ولا كيف سيكون مآله في نهاية المطاف. فصار لازما على الكل أن يفكر كيف يمكن له أن يعيش في ظل هذا كله.

لقد دفعت كورونا الجميع إلى أن يفكر بنهاية العالم، ومن طريف ذلك ما قالته صديقة لي في نهاية محادثة فيسبوكية أنني منتظر رؤيتك ولقائك بعد

أن تمر هذه الأزمة، فأجابتني بلا تردد: «القيامة ستقوم بعد كورونا، أراك في الجحيم، فكل أصدقائي هناك سيكونون».

هل أوصلت كورونا العالم إلى أن يفقد السيطرة على هذه الحياة وتتسرب منه بفعل هذا الفايروس الذي أربك كل الخطط الدولية والإقليمية والوطنية؟

إننا على ما يبدو نعبر البرزخ، ولكن إلى أين بعد هذه العولمة اللغوية الثقافية الجديدة؟ وهل فعلا ستكون كورنا حدثا فاصلا في التاريخ ليؤرّخ بها، وأن العالم بعد كورونا ليس كما قبلها، وأن هناك ولادات قسرية قيصرية سياسية، كما اقتصادية وثقافية كما تنبأ هنري كسنجر مثلا في مقاله المنشور في صحيفة وول ستريت جورنال؟

إننا مقدمون على مجهول على ما يبدو.

فنار عبد الغني

# كورونا: من يومياتي وملاحظاتي



## مات جيراني

مات جاري، هكذا دون أن يعاني من أي مرض. أسلم الروح إلى بارئها بكل هدوء. لم يثر موته أي ضجة كما هي العادة. ولم نعرف سبب موته حتى الساعة. علمت بالخبر من جارتي التي تسكن الطابق العلوي في نفس المبنى حيث أسكن أنا في الطابق الأرضي.

كان الصباح في ساعاته الأولى عندما سمعت صوت جارتي وهي تنزل الدرج، ففتحت الباب ظناً مني أنها في طريقها إلى السوق، وهممت أن أطلب منها جلب بعض الخضار الطازج لي. لكنها فاجأتني بالخبر: «مات فرحات فجر اليوم».

تنهدت بعمق وهي تحمل سيجارتها وأضافت بصوت خافت: «أنا في طريقي إلى العزاء». ولفتها غيمة من الصمت. نصحتها بعدم الذهاب كوننا لا نعرف سبب موته ولأننا أيضا في الأسبوع الثالث من الحجر الصحي، لكنها أصرت على تقديم الواجب.

= «لا شك أن زوجته وبناته الخمس بحاجة لمن يواسيهن».

ولم تأت جارتي بعدها إلى منزلي، وأصبحت تمر صامتةً عند اقترابها من بابي.

وقبل موت جاري فرحات بأسبوع ماتت جارتي بعد معاناة طويلة مع المرض، ولم أذهب للعزاء أيضاً، وخجلت من نفسي عندما التقيت بكبرى بناتها

صدفة في الطريق. مررنا صامتتين بمحاذاة بعضنا البعض. ماذا كنت سأقول لها. بالكاد رأيتها وأنا أضع كمامة على وجهي وعقلي يعالج أفكاراً كثيرة تشغله.

لمحتها دون أن أعرفها لبرهة، وهي نظرت إليّ بعمق واستنكار، ظلت نظرتها معلقة في رأسي وأنا في حالة من الغرابة، وبعد أن ابتعدت عنها قليلا، تذكرت أني أعرف هذا الوجه، إنها ابنة الجارة التي توفيت حديثا. تذكرت ذلك بعد مضي أكثر من خمس دقائق، كان عقلي خلالها يراجع الإرشادات للوقاية من فيروس كوفيد19-. وعندما أدرت رأسي لأتأكد من وجهها وأنها لم تعد ترمقني بنظرات اللوم والاستنكار، وجدت الطريق خالياً.

* * *

## أخاف من كورونا؟

الكلام عن كورونا لا ينتهي على مدار الساعة: الإرشادات للوقاية منه، ضحاياه، البلاد التي اجتاحها، أرقام الخسائر المادية، التوقعات، إلى آخره. مدن تكاد تموت وأخرى محظور الدخول إليها، ومدن لا تبالي به تزاول عاداتها اليومية لتحصد بنفسها نتائج المخاطرة.

تغيرت عاداتنا اليومية بسبب الوباء وبعد فترة قصيرة من الحجر الصحي، أصبحنا نعمل أكثر فأكثر على تعقيم المنزل. كان سيل الإرشادات يأتينا بأقل جهد، فكيفما تجولت داخل محطات التلفاز أو مررت مروراً عابراً على وسائل التواصل الاجتماعي ترفدك بما في جعبتها من أخبار. الكلام المتواصل والمستمر عن كورونا تسرب إلى مسامع صغيرتي، أصبحت تخاف من فتح الباب والنافذة، تصرخ: «سكري الباب. كورونا». أصبحت تهرب من الجيران الذين يحاولون ملاعبتها أو تقبيلها، تقول: «لا. كورونا».

بعد فترة مللت من كورونا وآخر المستجدات حولها، غادرني ذلك الشعور بالمعرفة والوقاية والاحتياطات. لم أعد أهتم بمعرفة ضحاياه ومن صنعه ومن نشره، ولم أستغرب حالات الانتحار المصاحبة له، ولا حوادث السرقة، ولا موت الأطباء والممرضين ولا حالة الأبناء الذين رفضوا رؤية والدهم وهو على فراش الموت، ولا الطبيب المعالج له وهو يبكي ويقرر الذهاب إلى طبيب نفسي.

إن توالي الآلام على قلبي بشكل يومي لم يسمح بغزو كل ما يتعلق بكورونا لنفسي. لقد تعتق الحزن في نفسي منذ زمن بعيد. إرث النكبات المتوالية في النفس يصرف عنك مثل تلك المشاعر المتدنية من الألم.

مدن مغلقة، غزة مغلقة ومحاصرة. القدس مغلقة ومحاصرة، وغيرها من مدننا العربية. والإنسان العربي إذا لم يكن منفياً أو مشرداً أو مسجوناً فهو محاصر، يكفي لأحدنا أن يلقي نظرة خاطفة على المقدسيات المرابطات وهن مكبلات يجرجرهن الغزاة، لتدرك حجم المآسي التي نحملها.

حوادث السرقة والقتل في أيام قلائل لا تعني شيئاً، وأمتنا تقتل وتنهب خيراتها منذ قرون. إنهم يستمدون ترفهم ورفاهيتهم من إبادتنا وإفقارنا.

لا أخاف كورونا فهي ليست عنصرية. أنا أخاف من الوحوش البشرية الذين صنعوا كورونا وسيستمرون في صناعة طرق ووسائل موت وإبادة الغير ويتفننون في تعذيب غيرهم بشتى الوسائل المعروفة والمجهولة، ويتمتعون بذلك كما تمتع الرومان بتعذيب الأسرى والعبيد في القرون الغابرة، ثم يتصدرون الشاشات ليحدثوك عن الديمقراطية وحرية المرأة والتحرر والمستقبل وحقوق الإنسان!

* * *

## التعلم عن بعد

تقرر التعلم عن بعد في ظل الحجر الصحي من قبل المسؤولين، واجتهد ذوو الاختصاص بتكنولوجيا المعلومات بتوجيهنا وإرشادنا إلى تطبيقات معينة تخدم هذه الغاية، فأصبحت اللقاءات والاجتماعات وورشات العمل والتعليم من خلال التطبيقات الشهيرة زوم وتيم. أصبحت المحاضرات والدورات الطويلة تعطى أيضا على المنصات الإلكترونية.

هذه التجربة أظهرت الحاجة الضرورية لدور المعلم وأثره على الأجيال، وأنه لا يمكن الاستغناء عنه والتعويض ببديل آخر، الأمر الذي يوافق ما يردده مريدو العلوم الشرعية: «من كان شيخه كتابه فقد ضلّ عن صوابه». لقد سدّ التعلم عن بعد فراغ الوقت لدى الطلاب والأهل، وقرّب العلاقة بين الطالب

وذويه، وأصبح الاهتمام أكثر من ذي قبل. ولولا هذه الطريقة في التعليم لزادت حالات العنف الأسري في البيوت، فالملل يقتل النفس.

لكن هذه التجربة الجديدة في التعلم استهلكت من المعلمين أضعاف الوقت في إعداد الدروس وتحضيرها، وأصبح جل وقت المعلم للطالب، فالفضاء التعليمي مفتوح وبدون مَصارع، فالطالب وأهل الطالب أصبح بإمكانهم إرسال الاستفسارات والأسئلة في الوقت الذي يناسبهم من دون الأخذ بعين الاعتبار وقت وراحة والمسؤوليات الملقاة على كاهل المعلم. أذكر أن إحدى المعلمات تلقت في يوم واحد أربعمئة مكالمة من طلابها في يوم واحد.

لقد لغت هذه الطريقة المسافة بين المعلم والطالب. ومن خلال تجربتي في هذا المجال، حدثت معي بعض الأمور الطريفة، كإرسال الطلبة لي واجباتهم مع رسائل تعبر عن اشتياقهم وحبهم مرفقة بملصقات الورود الحمراء والقلوب الكبيرة وبعض كلمات الامتنان والأدعية وأمنيات وتحيات الصباح والمساء.

أما الأمر الأكثر غرابة فهم الطلاب المهملين. أحد هؤلاء أرسل لي عند الفجر يستفسر عن شرح درس بأكمله، كنت أشرحه بشكل متقطع. والأغرب من ذلك طالبة بلغت الرقم القياسي في الغياب عن المدرسة، وهي إن لم تكن غائبة عن الدرس فهي مغيبة، قامت بحل واجباتها على مدى أسبوعين وأرسلتها لي مع رسالة اشتياق ومودة. لا شك أنه الفراغ الثقيل أثار دافعية هؤلاء الطلبة، وربما الإنسان لا يقدر النعم الحاضرة أمامه ولا يعرف لها قيمة إلا بعد أن يبتعد عنها.

* * *

## تغيرت حياتنا

البعض يختار العزلة والبعض الآخر تختاره العزلة، أما نحن وبدون مقدمات فقد فرض الحجر الصحي نفسه على حياتنا فقلبها رأساً على عقب، ومن لم يحضر نفسه مسبقاً لهذا الوضع الطارئ فسيشعر بأنه يمضي عقوبة لا طاقة له بها. هناك من اغترب عن نفسه، وهناك من اكتشف نفسه وتعرّف عليها وذهب إلى ما هو أبعد من ذاته، فأعاد التعرف عليها من خلال علاقاتها

مع الآخرين في ظل هذه العزلة القسرية. وقد كان لطفرة المعلومات غير المسبوقة والفوضوية، المتقاطرة من جميع وسائل التكنولوجيا على حواسنا وأذهاننا، الدور الأكبر في هذه العملية، وأقصد بها عملية إعادة اكتشاف ذواتنا الغائبة عنا وعلاقاتها مع الآخرين، أو تذويبها مع الشاشة الصغيرة في اليد لدرجة أن هذه الأجهزة بدت وكأنها هي التي تتحكم فينا وليس العكس.

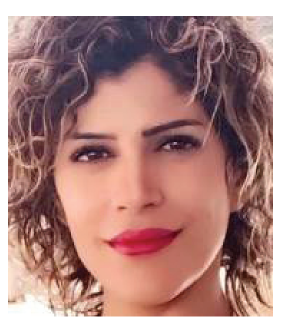
من حيث المكان، ضاقت علينا بيوتنا، ومن حيث الفضاء، ففضاء المعلومات شاسع وفي حال اتساع دائم ومن الصعب الإحاطة به، تضيق به النفوس المحجورة. وبين هذا الواقع الضيق وذاك الفضاء اللامتناهي، تعثرت حياتنا، إذا استيقظت باكراً على صوت المنبه كعادتك، يصلك تأفف من يشاركونك المكان، وإذا هممت وقمت تستقبل ولادة يوم جديد، مشعلاً النور وبالكاد تنتقل على رؤوس قدميك في غرفة جانبية من بيتك، انزعج الجيران من الضوء، وإذا خرجت إلى الشرفة تريد النظر فقط إلى السماء، سمعت ما يشبه الصاعقة وهي تضرب على أذنيك، يتضح فيما بعد إغلاق نافذة قريبة منك لم تكن تلحظها في قلب النهار.

ازدادت اهتمامات الناس بمراقبة بعضهم البعض، وإطلاق النكات الساخرة والتفاهات. البعض اهتم أكثر بالأنظمة الغذائية وتحضير الوجبات الجديدة وطهو الحلويات والإرشادات النفسية والطبية التي لم ألحظ لها أثراً على نفسيات وأعصاب المحجورين. لقد وصل الحال بالبعض إلى درجة عالية من الغليان النفسي الذي يريد أن ينفجر في وجه أول شخص يلقاه أمامه.

لم يكن هناك من سبيل آخر لإنقاذ النفس سوى جنة الصبر، واستحضار سيرة خير البشر، النبي محمد صلى الله عليه وسلم، سنوات الحصار الثلاث التي عاشها مع أهله وصحبه ومن معه من المسلمين، في شعب بني عبد المطلب في مكان موحش، ليس فيه زرع حتى انتهى بهم الأمر لأكل ورق الشجر. تستحضر إلى الواقع عام الحزن وفي يدك كوب من الشاي الأخضر الدافئ وأنت لا زلت في الشهر الثاني من الحجر الصحي ومعظم احتياجاتك أمام ناظريك ورحمة ربك تتغشاك من كل جانب، وأنت في غفلة عن ذلك.

## مرام أمان الله عايش

# كورونا: بين وسواس الوقاية والرغبة في التمرد



لم تكن أفلام الخيال العلمي التي لطالما ابتكرت أفكارا «شريرة» تودي بحياة البشر بطرق عدة تلفتني، كتلك التي تجعل من الأوبئة مثلا أسلحة بيولوجية ينشرها البشر المصابون وكأنهم «ناقلات عسكرية لجيش العدو».

لم تكن تلك الأفلام مفضلة لدي، لربما أنني لم أشعر قط بقربها من الواقع، فلم أكن أعرها بالا، ففكرة انهيار النظام الصحي العالمي بفعل وباء مستجد كانت تبدو فكرة خيالية بالنسبة إليّ، خاصة في عصرٍ تروج فيه وسائل الإعلام بشكل مستمر إلى مدى التطور العلمي «العصيّ على الهزيمة».

يولد الكثير من البشر في أنحاء العالم محرومين من حريات كثيرة ليس لسبب، بل فقط لأنهم ولدوا ضمن سياق سياسي، ثقافي، ديني، اقتصادي معين. وعليه يتم تصنيف البشر «بالميلاد» وليس بالاختيار. تصنيفات عدة تحدد بالتالي مدى الحريات والخيارات في الحياة لاحقا.

يتطور سلوك البشر ويتباين تبعا لكل ذلك. فنجدهم يختلفون بالقرارات، الاختيارات، ردود الأفعال. يختلف خوفهم ومستويات فقدانهم للأمان بناء على السياق الذي يعيشون فيه، والخبرات التي عايشوها. مرجعياتهم ومصادر ثقتهم مختلفة، ففي الشرق إجمالا لا يثق البشر كثيرا بحكوماتهم، بينما يثق الغرب إجمالا بالنظام المسيّر لشؤون البلاد، وذلك كله له تجلياته على مجريات ما يعيشه العالم اليوم من تفشي وباء (كوفيد- 19) الذي يسببه فايروس كورونا.

أنا لست بصدد التغلغل هنا في تفكيك المشهد من زوايا سياسية أو اقتصادية لأن ذلك له مختصين في تحليله، لكن أكثر ما يلفتني في هذا السياق هو اختلاف «أثر الخوف» على حياة البشر المختلفين في ظل التفشي السريع لفايروس كورونا حول العالم.

كثيرون أراهم يمارسون حياتهم وكأن هذا الوباء يوجد فقط في دور السينما من خلال أفلام لا تمت للواقع بصلة، يتصرفون كأنهم لم يعلموا بالأمر أصلا! تفاجأت من شدة هدوئهم أو «برودهم» إن صح التعبير، وتساءلت كثيرا بالمقابل عن مدى «واقعية» خوفي أنا شخصيا من إمكانية الإصابة بهذا الفايروس اللعين الذي بتّ اشعر أنه يقترب من كل شيء حولي، على الرغم من أنه بات من المرجّح بناء على الدراسات والتوصيات أن هناك فئات أكثر عرضة للخطر من غيرها في حال الإصابة. ولكن، لا شيء مثبت ولا مضمون.

لا أنفكّ عن متابعة الأخبار، الأرقام والإحصائيات، الأقاويل، والمحتوى الموضوعي وغير الموضوعي المتعلق بهذا الوباء، لا أترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيتها. لا أكترث بنظريات «المؤامرة» ولا يهمني فيما إذا كان هذا الفايروس قد تم تطويره مخبريا. كل ما يهم الآن هو «الأمان والنجاة».

خوفي يتأرجح بين صعودٍ ونزول، وجلدي كاد يتشقق من كثرة ما أستخدم من كحول. عندما يتغلغل الخوف في النفس، تهرب الملذات. قد يكون هذا أكثر ما يعبر عني حاليا. فإذا ما تسلل الخطر من اتجاهٍ واضح، فإن الهروب يكون بأي اتجاه يبعد عن مصدر ذلك الخطر. ولكن عندما يسكن الخوف الهواء الذي نتنفس، والأجسام التي تحيط بنا والأسطح التي نتعامل معها بشكل عفوي ومستمر، يصبح الملاذ مستحيلا.

ليس ما يؤرقني هو ما تسبب به هذا الوباء من تقييدٍ للحركة وشل الحياة فحسب، فهذا الصغير الخفي نجح بامتياز بتقييد العقل وشل التفكير. لقد هز بتفشيه السريع «الثقة» بمستويات واسعة. الخوف من المجهول أشد فتكا من خطر واضح الملامح. ذلك يجعل الدماغ باحثا مستمرا عن «الهروب نحو الأمان»، فالعدو خفي، والتشكيك في كل ما حولنا يصبح وسيلتنا الوحيدة للدفاع.

الدماغ، «مطوّر الأفكار»، يصبح منحازا لفكرة الخوف، ويبدأ في تضخيمها أكثر، إلى حد أن تشعر أنّ يديك «مُدانتان» باستمرار، فحتى إذا لم تلمسا أيّ شيء حولك، لا تسقط تهمة «الاشتباه» عنهما.

تداهمك فكرة الابتعاد عن البشر بطريقة تشبه المبالغة في أفلام الخيال العلمي، تشعر كأنهم كائنات فضائية تشكل مصدر خطر مؤكد، حتى وإن كنا نعلم أن الاختلاط هو المسبب الرئيس في انتشار العدوى. لكنّ القصد هنا شعورك تجاه الآخر، هو شعور تسكنه الريبة والخوف، وكأنه أصبح عدوا أو وسيلة من وسائل العدو للإيقاع بك، فترى نفسك نائيا عن البشر، «فريسة» لغزيرة البقاء.

هذا الخوف الذي بات يحاصر الكثيرين حول العالم تطور إلى شك واشتباه بكل ما يحيطنا. وهذا الشك المستمر خلال عملية البحث عن العدو الخفي الذي قد يكون تسلل إليك بأي لحظة، يجعلك تقاوم على مدار الساعة، وتمارس أساليب دفاعية بشكل مستمر. سواء بعمليات التعقيم المستمرة أو الاغتسال.

في كل مرة أقوم فيها بغسل يديّ مثلا أقوم بعملية «تحقيقٍ مونولوجي» فيما إذا كانت درجة حرارة الماء مثلا كافية لقتله، وكمية الصابون كذلك، والوقت المستغرق لعملية الغسل، والتي تكافئ عملية «قتل دفاعا عن النفس». لا ضرر بعد ذلك من مسحة كحول زيادة في الأمان. ولكن، هل نجح هذا العدو الصغير في الفتك النفسي بالبشر أكثر من فتكه بهم على المستوى الجسدي؟ عدوٌّ لا يُرى، لكنه نجح بالوصول إلى كل مكان في هذا العالم تقريبا.

أتساءل أحيانا عما إذا كان هناك آخرون غيري حول العالم قد تعتريهم فكرة «التمرد» على هذا الهلع الذي خيّم علينا تدريجيا منذ قرابة الثلاثة أشهر، ثورةٌ على الخوف، تجعلني أفكر أحيانا برغبةٍ جامحةٍ في الخروج للبحث عن هذا «اللعين» ومواجهته! نعم، أقصد الرغبة في الإصابة بالفايروس! فالمقاومة المستمرة لهذا المجهول، وعدم ضمان السلامة، والاشتباه في أي أعراض قد تكون شبيهة لأعراض الإصابة بهذا الفايروس، والانتظار القلق إلى حين التأكد بأن تلك الأعراض كانت عابرة وأنه لم ينجح بعد بالهجوم، كل ذلك يخلق عبئا نفسيا

وفكريا شديدا يدفعني للتفكير في أنّ التقاط العدوى قد يكون أقل وطأة من الخوف والمقاومة والهروب لأجل غير مسمى!

لكن، وبما أنّ هذا الفايروس مستجد، وما زال قيد الدراسة، فانّ شدّة الإصابة وإمكانية التشافي لا زالت أمورا ضبابية وغير محسومة بعد. سرعان ما تُجهض فكرة «الثورة» تلك، لأسقط من جديد في قبضة «التهديد».

لا أطمح اليوم إلى حرية السفر والتنقل بقدر ما أحلم بأن أتحرر من «خوفي» الذي يحبسني فيه، فقد حوّل «كابوس كورونا» كل شيء حولي إلى «متّهم مُدان، ولم تثبت براءته بعد»، حتى أنني عندما أخلد إلى نومي لا أنسى الاشتباه في وسادتي ومراجعة رحلتها اليومية للتحقق من مدى براءتها.

قد يكون الذعر أشدّ فتكا من الأوبئة!

**د. فراس ميهوب**

# الوباء: بين السقم والشفاء



لدينا كبشر ميل طبيعي للظن أن أي عاصفة تهب في شاطئ بعيد لا نرى مياهه لا تعنينا في شيء إلا كخبر عابر نتابعه على وسائل الإعلام المختلفة، وردة فعلنا عليه محدودة وقصيرة الأمد، لكن العالم الذي نعيش فيه تتداخل فيه السياسة والاقتصاد والاجتماع، وما حدث في بدايات هذا العام جعلنا ندرك أن العولمة هي أيضا عولمة الكوارث والأوبئة.

انتشار وباء الكورونا، أو ما سمي بمرض الكوفيد19-، جعل من تحديد حرية الأفراد شرطا للنجاة، فعلى الرغم من أن الأمر مبرر ومفهوم بل مطلوب من الناحية الصحية والعلمية، ولكنه سبَّبَ لهم في الوقت عينه صدمة نفسية وإصابة في الصميم.

تساوى الخلقُ في ضرورة البقاء في البيوت، واللجوء إلى جدرانها المحدودة هربا من عدو غير مرئي ولا يميز عرقا ولا جنسا ولا دينا ولا عمرا ولا طبقة اجتماعية، يهدد حياتهم ويتسبَّبُ فعلا بخطفها.

رجعنا أمام التحدي غير المسبوق إلى رد الفعل الغريزي للإنسان القديم الذي كان يهرب من الحيوانات المفترسة ليلوذ بأمان غصن شجرة عالية، أو بكهف مكين، فعادت الحاجات الأولية مبلغ همنا، والخروج المؤقت لتحصيلها ترفا من أشكال الحرية المفتقدة، فما كنَّا نشكي منه منذ أيَّام قليلة صار الآن أملا بعيد المنال نرغب باستعادته بإلحاح.

طلبُ الجميعُ للسلامة دفعهم للانكفاء، والأخطر في كل هذا أن الخوف

الحقيقي والعميق من المرض القاتل والوباء هو في العمق الخشية من الآخر مهما كان قريبا فهو مصدر القلق والخوف والخطر.

لكن الإنسان —الذي اختزن في مورثاته وخلاياه الحية القدرة على التأقلم مع الصعاب والتعامل مع الصعاب بعد أن يستوعب أنه لا مفر من مواجهتها— يستطيع أيضا أن يجترح حلولا مناسبة للكوارث والأوبئة.

الذهاب إلى النادي الرياضي أو المسبح الذي كنا نتكاسل بالتوجه إليه في أوقات الفراغ غدا فردوسا مفقودا، ذاك الضجيج البشري أيام نهاية الأسبوع والزحام الخانق في المدن الكبرى صار الحنين إليه يداعب القلوب المثقلة بالوحدة.

أمّا رغباتنا وهواياتنا المفضلة كالموعد الأسبوعي في مكتبة المدينة، المهرب المفضل من العمل المضني، أضحتِ الآن من الماضي، حتى ساعي البريد الذي كنا ننتظره بفارغ الصبر لإحضار رسالة هامة أو كتاب شيق غاب عنا، فافتقدنا معه الأمل الذي يجدد حياتنا ويبقي أحلامنا الصغيرة مستيقظة بانتظار الأفضل. مرور السيارات أمام البيت، ثرثرة الجيران على أسوار بيوتهم وبواباتها الحديدية استبدلت بالفراغ المؤذي للنفوس.

الكتاب الذي وضعتُه جانبا منذ أسابيع ولم أجد الوقت لقراءته بسبب مشاغلي صار إليّ أقرب من أي وقت، والسير الذاتية لشخصيات محببة وجدَتْ طريقها إلى تحت العيون الشغوفة بالقراءة. تلك القصة التي لم أستطع استكمال كتابتها منذ أشهر صارت الآن في مراحلها الأخيرة. أصوات أطفال الجيران أصبحت الآن مصدرا للأمان، فعندما يكون الجار بخير فنحن بخير والحياة تستمر رغم كل شيء.

أولادي الذين كانوا يعاتبونني على عدم اللعب معهم صرت الآن أنتظر نهاية الأسبوع لأتنافس معهم في مباراة كرة قدم في حديقة المنزل فأسجل عليهم أهدافا بحماس وأتلقى أخرى بأسف، ولكني تخلصت من العتب والإحراج معهم.

في حديقتي الصغيرة، انشغلت أيضا بمراقبة الطيور الصغيرة التي تستريح على أغصان شجرة التين قبل أن تطير إلى مكان آخر، أراقب تفاصيلها، ألوانها، أصواتها، طريقة طيرانها، وأحاول التعرف على أنواعها. حرية هذا المخلوق ذكرتني بنعم الله علينا التي قد لا نذكرها للأسف إلا عند فقدانها.

طالما اعتبرتُ أن بساطة العيش تقي من الصدمات، وهذه الأيام أثبتت أن الأزمات تبين لنا ما هو أساسي لحياة الجميع، وما هو كمالي يمكن الاستغناء عنه، وما هو زائد عن الحد وربما مزيف ودون نفع حقيقي.

قد تكون مثل هذه الظروف الصعبة مفيدة أيضا في إعادة ترتيب أولويات الحياة، والتفرغ أكثر للعائلة لتأخذ موقعها الأساس دون أن ننسى أولئك المحاصرين في بيوتهم ظلما أو قسرا ويحتاجون لأبسط متطلبات العيش الكريم، ويقعون غالبا بين فخي المرض من جهة أو العوز والحرمان المضاعف من جهة أخرى سواء أكانوا عربا أو غيرهم من شعوب الأرض.

إنَّ التفكير بالإنسان الآخر، مع التجرد من التعصب، يجعل تحمَّل الأعباء الشخصية أسهل عندما نقع في مأزق، فالمريض الذي يعاني في غرفة العناية المشددة في المشفى، أو يعاني الآلام والعزلة معا في منزله، والعائلة التي تنتظر شفاء ولدها، والفريق الطبي والتمريضي والمعاون الذي يشرف على علاجه ورعايته، وذاك الذي فقد عزيزا عجزت كل الوسائل عن إنقاذه فكانت صدمة فراقه المفاجئ أشد وقعا على نفوسهم، وأولئك الذين يقومون بمساعدة الآخرين من خلال الاستمرار بعملهم في ظروف صعبة.

ربما أن عملي كطبيب يساعدني على التعامل مع هذا الظرف المستجد دون صعوبات كبرى، ولكن يتوجب عليّ بنفس الوقت اتخاذ احتياطات أكبر، فالعودة إلى المنزل صارت تحتاج لدقائق طويلة من الحذر والتعقيم، ومن ناحية أخرى التعامل مع المرضى يسمح بمعرفة هذا المرض عن قرب فيصبح العلم بالخطر والقرب منه وسيلة ناجعة لمواجهته لأنَّ المجهول غالبا ما يكون في نظر الإنسان عدوا مبينا.

والمسؤولية هنا تمتد من المريض إلى كل الفريق الطبي العامل والأطباء الذين يحضرُّون اختصاصهم والطلاب الذين يحتاجون إضافة إلى المعلومات الطبية —المتوفرة دون صعوبة في عصر انتشار العلم— إلى التوجيه والطمأنينة واكتساب خبرة التعامل مع الظروف القاسية وتقديم العلاج للمريض دون توتر.

ولكن تبقى هذه الظروف الاستثنائية مُعلِّما لا يضاهى للجميع على المستويين الشخصي والمهني، إنها خبرة تضاف إلى خبرات الحياة، وتساعد حتما على تجاوز المحن في المستقبل، وتحسين ممارسة الطبيب لمهنته.

بكلمات قليلة: لتجاوز هذه المحنة، لا بد من التعامل معها بهدوء، الالتزام بالعلم ومعطياته، عدم الاستسلام للخوف الذي قد يكون قاتلا أكثر من المرض بحدِّ ذاته، البحث عميقا عن مصادر للقوة والثبات والإيمان، تقديم المساعدة للآخرين والاهتمام بهم، باختصار محاولة تحويل المحنة إلى منحة.

في هذه الأيام الصعبة يعود السؤال الملحُّ الذي يطرحه الإنسان على نفسه في لحظة الحقيقة: عن الخيار الأفضل بين رغبته الجامحة بالنجاة بانتزاع الخشبة التي تخصه من سفينة الحياة والتعلُّق بها وحده لينجو، أو يساند شركاءه في إنقاذ السفينة فيفلت الجميع من الغرق؟

**فرنسا، الإثنين 2020/4/20**

طه بونيني

# طه في العصر الكوروني



على عتبات الأربعة والثلاثين، ومن هم في جيلي شَهِدوا الكثير. أتذكّر الكثير من الأمور المؤسفة كالحروب والقتالات، كما أتذكّر أمورا سارّة، والعديد ممّا عِشتُه لا علاقة له بالجيد أو بالسيِّء، أو لنقل هو ممّا يُعطَف على الإنجازات البشرية التي حقّقها البشر والتي سهّلت حياتهم حينا، وزادتها صعوبة أحياناً كثيرة.

عِشتُ ظهور الإنترنت وانتشارها في ربوع المعمورة، كما عشنا ظهور القنوات الفضائية، والهواتف النقالة، وانتشار الحواسيب المكتبية منها والمحمولة، وكافة الوسائل الرقمية المتطوّرة. وفي وقتنا هذا تحوّل نمط حياة الإنسان بفعل وسائل التواصل الاجتماعي.

وشهدنا العديد من الأوبئة والأمراض الجديدة، وهذا ينضوي ضمن الأمور الضارّة التي عِشتُها، لكن لم أرَ بل لم ترَ البشرية مرضا استشرى فيها كالنار في الهشيم، وأخضعها في أوج قوّتها التكنولوجية والعلمية حتّى أتت كورونا. فانضمّ هذا الفيروس لخوارق الأمور التي شهدَها جيلي في هذا الزمان.

لم أعتقد يوما بأنّ العالم الذي لطالما حيّرني وحيّر الفلاسفة والمفكرين والخلق جميعا، هو عالم هشٌّ لهذه الدرجة، وبأنّ كلّ شخص فيه سيخاف على نفسه لحدّ اليأس والقنوط، ولحدّ العزلة في البيت، واعتزال العمل والأصدقاء وكلّ النشاطات التي تعوّدها، لأجل فيروس اسمه كوفيد 19.

الحالة التي تملّكتنا هي حالة لم نتوقّعها من قبل. لم تتوقف الحياة من قبل. لم تمرّ علينا هذه الأجواء لا نظريا ولا تطبيقيا ولا فلسفيا. نحن نعيش واقعا لم يكن في الحُسبان. ورغم مرارة العيش، وفداحة الأوضاع خاصة والموت يمتطي الثواني واللحظات حاصدا الآلاف من الأرواح. لكن المفارقة في الأمر أن هذه المحنة أهدتنا منحا كثيرة.

ومن هذه المِحن ما يتعلّق بعلاقاتنا بذوينا، بنظرتنا لأنفسنا، وللنّاس مجتمعا وأشخاصا، لوظائفنا، ولحياتنا بصفة عامّة. كما أنّها علّمتنا في العالم والإنسان ما لم نكن نعلم. ومن فرط ما عقّمنا الأشياء والسطوح في المنزل والشوارع، تعقّمت عقولنا ممّا كنّا نسمّيها بديهيات أو مسلّمات، وصارت الحياة حقلا جديدا للاستكشاف، وعُدنا أطفالا، نسأل في كلّ شيء، ونحاول إعادة معرفة كلّ ما عرفناه كما لو أنّنا لم نعرفه!

ألهذه الدرجة زعزعت كياننا هذه «المِحنَة المِنحة»، و«الضارّة النافعة»؟ نعم بل أكثر. المهمّ، لم أكن أظنّ نفسي سأمكُث في المنزل اليوم كلّه دون أن تنازعني نفسي في الخروج. لكنّي فعلتُ ذلك. وامتنعت عن مغادرة منزلي إلا لقضاء حوائجي الضرورية.

وقد انتقلت إلى المنزل المستأجر الذي أسكنه الآن مع أسرتي الصغيرة، منذ قرابة عام، وهو حوشٌ يضمّ فناءً كبيرا، يصلُح لإدخال السيارة ولعب الدراجة والركض وزرع النباتات، لكنّني لم أشبعه منذ انتقلتُ إلى هذا البيت، فأنا رجلٌ لا يُطيق ضجيج الشارع عندما أكون في المنزل، وما فائدة المنزل إذا غزاه الشارع؟

ومنذ أن فتكت الجائحة بالعالم، وصار الحجر الصحّي سبيلاً مفروضاً، صار الحوشُ ميداني المُفضّل، فبين استماع الراديو والقراءة، والقيام ببعض الرياضة، وسقي المزروعات مساءً واللعب مع ابني صلاح الدين بالكرة أو بالدراجة، أو إصلاح الكثير ممّا اعترى أرجاء المنزل من أعطاب، فعُدتُ بنّاءً تارة وسمكريا تارة أخرى.

وقد جرّبتُ صنع أشياء كثيرة، منها ما يُسمّى «**Compostage**» وهو صُنع السماد العضوي المنزلي باستعمال بقايا الطعام، لتخصيب التربة لأجل نباتاتي المزروعة في الفناء، لكنّ الأمر انتهى بأن أنتجتُ الديدان فرميتُ صندوق السماد، وهكذا باءت هذه التجربة بالفشل.

ومن تجاربي العديدة، تركيب رفٍّ في أحد جدران المطبخ، وانتهى به الأمر في الأرض، هو وكل ما يحملُه. لكن علينا أن نكون إيجابيين، فقد صمدَ لأيام طويلة، ولم يسقُط حتّى أتخمتُه بالأشياء، عندها خرّ ساقطا. لكن حمدا لله، فالكثير من تجاربي المُتكَورِنَة ظفرت بالنجاح.

ولا أنفي أنّي ضقت ذرعا مرّات عديدة، فتبرّمتُ من حالي أمام هذا أو ذاك، وقد صِرنا بعدما كنّا نُطلق سيقاننا في كل حدب وصوب، نجري في عجلات دوّارة كالهامستر. لكنّنا تعوّدنا. وصارت الصحّة والعافية في المنزل، المغلَّفَين بالروتين والتكرار، أفضل النعم وأحسن ما يُمكن أن تُعطينا إياه، الحياة المريضة أصلا! وصارت أشياءً بسيطة تزرع البسمة في أيامنا، كنباتاتي المزروعة، وفنجان القهوة، ومرافقة ابنيّ صلاح الدين ومحمّد، وسماع أخبار الأهل عبر الهاتف.

ذكرتُ البديهيات سابقا، وكيف صارت مجالا لإعادة النظر. ألم نكُن نعتقد الصحة أمرا مُسلّما، والذهاب للعمل كذلك، والخروج مع الأسرة للترفيه، والجلوس في المقهى للاستمتاع بفنجان قهوة رفقة صديق أو جريدة، أو مجرد المشيء في الشارع. لم يُعد كلّ هذا متاحا فجأة.

والحمد لله فبعضنا راشدون يفهمون ويعُون ما يجري، لأن البعض الآخر من أطفالنا ومراهقينا وبعض الراشدين عمراً المراهقين عقلاً، لا يستوعبون ما يحدُث فلا يصبرون على المنزل، ويضيقون بجدرانه كثيرا.

لقدّ علّمتنا هذه الأيام في أنفسنا ما لم نعلم، وعلّمتنا في ذوينا ما لم نعلم، فقد تعلّمنا أن نبقى مُحاصرين في منزل واحد، دون أن نفتعل شجارا أو نشعل نارا. صرتُ ألعب مع أسرتي ولم أكن ألعب هكذا من قبل. وصِرتُ أقرأ بالإنجليزية ولم أفعل من قبل.

ولا زلتُ أصارع قراءة كتاب همنغواي «**The Sun Also Rises**»، منذ أخذت عطلتي المسبّقة، واستقررتُ في بيتي، بلُغته الأصلي، أي الإنجليزية، ولا زِلتُ معه حتّى وقت كتابة هذه الكلمات. لكنه يستحقّ العناء فهو كتاب فريد لكاتب فريد.

وقد استنتجتُ خلال قراءتي له، بأنّ أحداثه حقيقية، وليدة ذكرياته التي خزّنها بين فرنسا وإسبانيا، خلال عمله في باريس، وبحثت حول ذلك فوجدتُه صحيحا. ولا شكّ أن العالم سيُنتج أدبا وفنّا غزيرين حول هذه الأيام العصيبة، وسيسيل الكثير من الحِبر حول سيّد التغيير: فيروس كورونا.

ستولد أفكار جديدة، وفلسفة جديدة، ويبرز إنسان جديد، أكثر تواضعا.

العصرُ الكوروني صَنَع الملحمات في الشرق والغرب في الشمال والجنوب. لقد قتلنا، لكنّه صقَلَ معدننا.

منال الكندي

# حكاية كورونا بنكهة يمنية

الوباء الذي نشره في العالم فيروس كورونا بدا كأنه مخلوق فضائي كالذي كنا نشاهده في الأفلام الهوليودية التي تتحدث عن الخيال والمستقبل، وكيف سيكون وجه العالم عندما يسيطر جنون المصالح والأطماع على العقول، فتحوّل الخيال واقعا مخيفا فوضويا. كنا نهرب دائما ولا نعرف من ماذا.

من لطف رب العالمين أن وباء كورونا لم يجد طريقه لبلاد كاليمن، الذي كان ضحية عالم أصابه جنون القوة والتسلط والطمع، فأشعل الحروب، وتجرد من إنسانيته واعتاد ببلادة على مشاهدة القتل والدم ووحشية الإنسان في كل مكان. الوحش في أفلام الخيال العلمي كان يثير في المشاهدين الخوف من المجهول، ومن المستقبل، ويزرع في أنفسنا أوهاما تتغذى على هذا الخوف.

أما في الوقت الحاضر فهناك وحش حقيقي يُطاردنا في كل مكان، ويفرض قوانينه علينا. هذا الفيروس جعل من العالم غرفة طوارئ لا تنام. عجبت لقوته في نشر الرعب والفوضى والخوف في كل الكرة الأرضية، رغم أن الأرض كانت تئن من أثر القصف والقنابل التي تقتل كل يوم، وتحصد أرواح الآلاف من البشر في بلد كاليمن وغيره من البلاد الفقيرة.

تشربت الأرض دماء الأبرياء من موتى ومعتقلين ونازحين. كساها العفن من الأوبئة التي قتلت الأطفال والشباب. ومع ذلك، لم يتحرك العالم، ولم يعلن الطوارئ، ولم تستفزه صرخات أطفال مشتتين بين مخيم ومخيم، وأطفال يبكون أهلهم تحت أنقاض البيوت المهدمة في حروب لا ترحم. ست سنوات من الحصار والقصف في اليمن، ولا تزال الفصائل تتقاتل من أجل السلطة، وفي الوقت نفسه هناك ملايين من البشر يعانون الموت والبطالة وهدم البيوت والنزوح والتشتت وتفشي الأوبئة بينهم بسبب الحصار والقتال.

ذكّرنا فيروس كورونا والوباء الذي نشره بنفاق أولئك الذين يدعون الإنسانية. حياتنا كانت بسيطة تحمل أحلاما صغيرة. لم يكن يتوفر في وطننا كل شيء، ولكنه كان يحوي الأحبة، ويحمل للشباب الآمال في المستقبل، ويهمس لهم بأن القادم جميل. تحول الوطن لأحزان تتدحرج على طرقاته، خنقت الأحلام، وقتلت الشباب. وتضرر الاقتصاد، وتحول اليمن إلى بلد يصنف ضمن الأشد فقرا في العالم.

قبل أن يجتاح كورونا دول العالم، اجتاحت الكوليرا اليمن، ودعمت الحرب في تحقيق أهدافها. ولا يزال حصار اليمن مستمرا. المطار وكل منافذ الخروج مغلقة. لا مجال للخروج حتى لو كانت الغاية البحث عن مكان للعلاج فقط لا للنزوح إلى بلد آخر. ست سنوات والكهرباء معدومة في اليمن. يعيش الناس على شموع، أو على الطاقة الشمسية، ولا مجال لاستخدام الأجهزة الضرورية التي تساعد الناس على مواصلة الحياة اليومية.

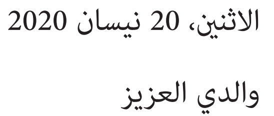
مدن تحولت إلى قرى مهجورة لانقطاع الكهرباء. عائلات فقدت مصادر رزقها. صار الانتحار خيارا يلجأ إليه البعض نتيجة العجز عن الوفاء بالتزامات مادية واجتماعية. عائلات افترشت الطرقات متخذة الشحاذة ومد اليد كمصدر لرزقها. العالم تنصل من التزامه نحو هذا البلد، ومنظمات بات تعيش على الاسترزاق من معاناة البلد وشعبه.

الخوف لم يعد له أثر في حياة ذلك الشعب. لم يعد هناك ما يمكن التخطيط له في المستقبل. البلاد تدمر، والإنسان يقتل، والأمل يخنق. المدارس مغلقة. لم تعد تسمع ضحكات طلابها، ولم يعد المعلم يرسم ملامح الأمل على وجوه الصغار. السائد الآن حياة باهتة ينقصها الكثير من احتياجات الإنسان. فقد اليمني السكن، وفقد الأحبة، ولم تعد المياه صالحة للشرب. باتت قضيته كيف يفر من الموت.

فتك فيروس كورونا بكثير من البشر في مختلف أنحاء العالم. وفي اليمن فتكت بالكثير من اليمنيين الأوبئة والبطالة والفقر.

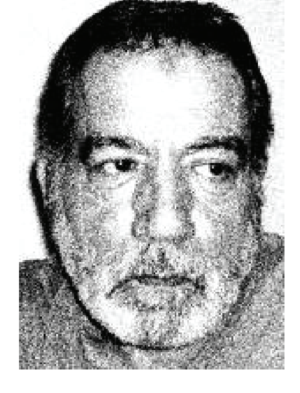
**زكي شيرخان**

# رسالة في زمن كورونا



الاثنين، 20 نيسان 2020

والدي العزيز



آثرت أن أكتب لك رسالة لأنك من جيل ما زال خط اليد له قيمته عندهم. وأنا أكتب بنفس قلم الحبر الفضي الذي أهديتني إياه يوم التحقت بالجامعة، والذي ما زال بحالة جيدة.

سؤال لم أوجهه لك يومها: «هل أهديتني إياه لأني أنهيت مرحلة دراسية وبدأتُ أخرى، أم لأنك اعتقدت أني أتقنت فنون الخط العربي الذي أجهدتَ نفسك في تعليمي إياها وأتعبتني؟»

فجأة خطر في بالي أن أكتب لك. لم أتردد. لن أقيّد قلمي في خط ما يعتمل في داخلي. لم استوعب، وما زلتُ، إجباري على دراسة الطب حيث رغبتي كانت باتجاه آخر. لم أقتنع عندما قلتَ لي: «لا تفرط بالدرجات التي حصلت عليها وتؤهلك لدراسة الطب».

رغم ما فرضته عليّ، وخلاف رغبتي، فقد أكملت دراستي بتفوق، وأكملت دراسة التخصص؛ وظللت لا أحب الطب رغم أداءي لواجباتي على أكمل وجه، لا بل وباعتراف كل المؤسسات التي عملت بها فقد كنت مُجيدا. اعتبرت الطب قدري الذي عليّ أن أتقبله.

بعد كل هذه السنوات العشرين، ولأول مرة، أجد نفسي محبا لمهنتي، وأود أن أقدّم لك شكري على إجباري. ربما تستغرب إن قلتُ لكأن الفضل في هذا الحب يعود لهذا الفايروس الذي نزل غضبا عاصفا على البشرية.

قبل شهرين قررتْ السلطات تحويل بعض المستشفيات، ومنها مستشفانا، إلى أماكن علاج للمصابين بهذا الوباء. طُلب منا الاستعداد لذلك.

رغم أني لم أتوان في تقديم العلاج لكل مريض خلال سنوات خدمتي، لكن في هذه الحالة قررت أن أستخدم طاقة كامنة لم أكن قد استخدمتها. طاقة البشر تتجاوز الحدود عندما تقترن بالشغف في تقديم المساعدة لمن لا حول لهم ولا قوة. المصابون بدأوا يصلون بعد أسبوعين.

رغم أن المئة عام الماضية قد شهدت سبعة أو ثمانية من الأوبئة التي اجتاحت مناطق مختلفة من العالم، وأودت بحياة عشرات الآلاف من البشر، إلا أنها لم تحجر على ثلث سكان الكرة الأرضية كما فعل هذا الوباء في يومنا هذا، ولم تنتشر بمثل هذه السرعة، ولم تُعرّ سوء أوضاع القطاع الصحي في كل البلدان، ولا الاستهتار بحياة البشر من قبل المنظومات الحاكمة ومن هم على رأسها فحسب، بل أظهر مدى الحضيض الأخلاقي الذي وصلت إليه المنظومة المالية المتحكمة في عبوديتنا.

الطبيب يواجه، أحيانا، حالات مرضى يموتون رغم وجود العلاجات الناجعة، وهذا أمر ليس بالغريب. لكننا أمام مرض لا نعرف عنه إلّا القليل، ليس له دواء، وليس بالإمكان التكهن بمصير المرضى: هل سيشفون أم ينتهي بهم الأمر للموت؟ أكثر ما يؤلمني هو نظرات المُصاب المصوبة نحوي. في عينيه سؤال «هل سأنجو؟» أدركتُ كم يخاف الناس الموت، لا بل يكرهونه. أكثر ما آلمني ذلك الرجل الثمانيني الذي أمسك بيدي وقال: «إن ستين عاما من العشرة تعني الكثير. وددتُ توديعها قبل رحيلي». لم تكن حالته بتلك السوء. لكنه رحل دون أن يودع رفيقة عمره. كيف عرف أن نهايته دنت؟

بعد هذه الأسابيع الستة بلغ بنا الجهد مبلغه، لكننا ما زلنا صامدين، كل يستمد العزم من زملاءه. الخطر محدق بكل الراقدين على الأسرّة، وبنا أيضا نحن من أطلقوا علينا تسمية «الجيش الأبيض»، المقاتلون في الخطوط

المتقدمة. قبل يومين أحد العاملين معنا، وهو من أصول مكسيكية فاجأنا بقبعته الواسعة، وقيثارته، وراح يطوف الردهات وهو يعزف ويغني أغنية لا يفهم كلماتها إلا هو. علت الابتسامة وجوه الكل. راح البعض يصفق، وآخرون بدأوا الرقص. خوان، وهذا هو اسمه، استطاع أن ينشر الحبور في نفوس الجميع. كنا بحاجة لهذه المبادرة. وعَدَنا بالتكرار كل يوم. سألته عن معنى كلمات الأغنية.

= «هي أغنية مكسيكية قديمة، لا أحد يعرف كاتب كلماتها، ولا ملحنها. هي تصف الموت. فالموت يأتي بوجه عابس، وعيون حمراء مفتوحة على وسعها ليدخل الرعب في النفوس، ويزيد من ألم السكرات؛ وحتى نخفف من الوطأة علينا أن نغيظه بالغناء والضحك والمرح».

عند الغروب، وكل يوم تقريبا، أقف أمام أحد الشبابيك، أتطلع بالشمس وهي تغطس وراء الأفق. هذه الحُمرة تترك في نفسي أثرا مريحا. أشعر بالسعادة، والأمل في قدرتنا على التغلب على ما نحن فيه، ولكن متى؟ وكم سيكون عدد من سنفقدهم؟ وكيف سيكون الغد؟ المحللون وذو الخبرة وحتى النُّطُعُ يقولون إن ما بعد هذه الكارثة لن يشبه ما قبلها. نظام عالمي جديد يكسر الهيمنة الأحادية؛ المزيد من العدالة الاجتماعية؛ إعادة النظر بالأسس الإيديولوجية للأنظمة السائدة؛ انهيار اقتصادي؛ فوضى عارمة؛ حرب عالمية لا تبقي ولا تذر. أكلّ هذا سيتحقق؟ من يجزم؟

هناك الكثير مما يقال وسيقال.

سأنهي. عليّ أن آخذ قسطا من الراحة قبل عودتي لواجبي. تحياتي، ولك دعائي بالسلامة.

ماجدة ياسين عوض

# كورونا أوقف تنفيذي وصية أمي

كنت على مقربة من القيام برحلة إلى مدينة فرانكفورت لمحاولة اللقاء بأخي زهير، الذي هاجر إلى ألمانيا في عام 1993، ولم يزرنا منذ ذلك الحين. لكن وباء كورونا تدخل وأفشل مشروع السفر، قبل يومين من موعدي مع وكالة السفر في بيت لحم لدفع ثمن التذكرة واستلامها.

ظلت رغبة أمي في رؤية زهير رغبة جامحة. وعاشت على هذا الأمل سبعة وعشرين عاما. آخر كلامها لي قبل أن يتوفاها الله: «اذهبي يا ابنتي لرؤية أخيك. اعملي المستحيل لرؤيته».



زهير الابن الوحيد لأم قست عليها الحياة، وكان أقسى شيء عليها فراقه. زهير الأخ الوحيد لأربع أخوات. وجود الأخ سند لأخته. مهما كنت قوية، وحولك البشر أجمعين، يبقى للأخ مكان لا يملؤه إلا هو. غيابه من حياتك يبقي في نفسك شعورا بضعف وحزن. فراقه عن أمي كان كفراق يعقوب ليوسف. ونحن الأخوات كنا نتمنى وجوده بيننا، حتى لو كان ذلك في زيارة قصيرة من حين لآخر.

لم يكن بوسعي التنفيذ السريع لوصية أمي التي وافتها المنية في عام 2018. ولكن في النصف الثاني من العام الماضي، 2019، عزمت على القيام بالزيارة. سفري إلى ألمانيا غير ممكن إلا بالحصول على فيزا. وشروط الحصول على فيزا لزيارة دولة أوروبية أصبحت صعبة.

كان عليّ الحصول على مجموعة من الأوراق التي يجب أن ترفق مع تقديم طلب الفيزا. وبعد أن أصبحت لدي كلها، قدمت بمساعدة إيهاب، الموظف في وكالة سفر في بيت لحم، طلب الفيزا من خلال الإنترنت.

أبلغتني الممثلية بأنها ترغب في مقابلتي قبل اتخاذ قرار بشأن منح الفيزا أو رفضها. ومع بزوغ فجر يوم 2020/2/15، ركبت وزوجي السيارة واتجهنا إلى مقر الممثلية الألمانية في رام الله لتقديم الأوراق وإجراء المقابلة.

بعد تقديم الأوراق، ودفع الرسوم، والإجابة عن مجموعة من الأسئلة، أخبرني المسؤول الذي قابلني أن القرار بشأن الفيزا سوف يصدر بعد أسبوعين. كانت فترة انتظار قاسية. زاد من قسوتها من تطوعوا لإبلاغي بأن رفض الطلب هو المصير الواضح، فهم يعرفون أناسا لهم وضع مالي أقوى من وضعي قدموا طلبات ورفضت.

مكتب السفر الذي يساعد الراغبين في السفر على ملء الطلب يستطيع معرفة القرار بشأن الفيزا من خلال الإنترنت. ولكن إيهاب أبلغني أن القرار بشأن طلبي لم يكن رفضا أو قبولا، بل عليّ الذهاب إلى الممثلية الألمانية مرة ثانية.

كررت وزوجي الرحلة إلى مقر الممثلية في رام الله. بشرني الموظف الذي قابلني قبل أسبوعين بأنني حصلت على الفيزا، وقال «مبروك». شعرت بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقي. لقد اقتربت أكثر من تنفيذ وصية أمي، ورؤية زهير نيابة عنها وأخواتي. ولأن الفيزا صارت حقيقة، وملصقة على جواز السفر، صارت وصية أمي في طور التنفيذ.

تحدثت مع إيهاب عن المواعيد المناسبة للسفر، وعن الحجز في فندق مناسب في فرانكفورت، وحجز لي حجزا مبدئيا، واتفقت معه على المجيء إلى بيت لحم لدفع ثمن التذكرة واستلامها.

حالفني الحظ مرة ثانية عندما أبلغتني قريبتي أن لي رسالة من البنك. وجدتُ فيها بطاقة فيزا، ولكنها من النوع الذي يسحب المبلغ المدفوع من حسابك البنكي فورا. لذا يجب أن يكون في حسابي البنكي ثمن التذكرة قبل أن يكون الدفع باستخدام بطاقة فيزا. كان عليّ إيداع ثمن التذكرة في البنك قبل الذهاب إلى وكالة السفر.

عندما أخبرت أخواتي وأقاربي بأني حصلت على الفيزا، كان الجميع في حالة استغراب وذهول. بدل أن ألقى التشجيع على المضي قدما في إجراءات السفر، إذا بهم يبدون الخوف عليّ لأني سأسافر وحدي. وأخي لن يكون في استقبالي، بل أنا كنت سأحاول الاتصال به بعد الوصول إلى فرانكفورت لترتيب اللقاء بيننا. ولم أكن على يقين أنه سيوافق، فهو منذ هاجر إلى ألمانيا كان ينقطع عن التواصل معنا، ونسأل عن أخباره من خلال معارفنا في ألمانيا.

زادت حدة النقاشات حول سفري بعد أن صار وشيكا. زاد الضغط على زوجي لكي يمانع سفري، بعد أن كان متعاونا معي في تنفيذ المشروع، ورافقني مرتين إلى الممثلية الألمانية لمتابعة طلب الفيزا. وكان يعتقد أن أخي لن يرفض لقائي عندما يعلم أنني في ألمانيا.

استمرت النقاشات العائلية الهادفة إلى حملي على إلغاء فكرة السفر لرؤية أخي. موقفهم كان غريبا. لماذا لم يعتبروا مثلي وصية أمي واجبة التنفيذ؟ لماذا تظاهروا بالاهتمام بمشروع سفري بسؤالي يوميا عن طلب الفيزا؟

توقعت بعد هذا الاهتمام الشديد بمصير طلب الفيزا أن ألقى دعما كبيرا منهم للقيام بالرحلة نيابة عنهم وتنفيذا لوصية أمي. حصل العكس. معارضة شديدة لسفري. أتعبني موقفهم السلبي، ولكن بقيت مصرة على مواصلة الخطوات التي بدأتها، وقد كنت على مقربة من الذهاب لدفع ثمن التذكرة واستلامها. ولكن قبل أن يحين يوم الموعد، ضرب كورونا ضرباته. أغلقت بيت لحم لظهور إصابات فيها. وبدأت الدول تلغي الرحلات الجوية منها وإليها.

كان لا بد لي أن ألغي السفر كغيري من البشر. لقد أخفقت يا أمي في تحقيق وصيتك. لم أتمكن من السفر لرؤية زهير والاطمئنان عليه. اعذريني يا أمي. أنا آسفة، ولكني حاولت وكدت أنجح في تحقيق وصيتك. ولا نزال مشتاقين إليك وقلقين عليك يا زهير.

د. عدلي الهواري

# كورونا: عزلة الجسد وحرية العقل



لم تثر إجراءات الوقاية من وباء كورونا الضجر في نفسي لأني معتاد منذ زمن طويل على الجلوس في البيت، والتواصل مع العالم من خلال حاسوبي.

نادرا ما أزور أحدا. كنت ولا أزال أخرج من البيت يوميا للمشي فترة تقل عن ساعة. في معظم الأحيان أحمل معي الكاميرا لأصور عصفورا أو زهرة جميلة على الطريق. أفضل المشي على الرياضات الأخرى لعدم وجود حاجة لملابس خاصة أو لاشتراك في ناد أو استخدام معدات. ولذا المشي كعادة يومية لا تفارقك احتمال أقوى من ذهابك إلى ناد كل يوم.

ينسب إلى الفيلسوف الألماني، نيتشة، قوله إن الأفكار العظيمة تولد أثناء المشي. إذا فكرت في أمر وعجزت عن الوصول إلى نتيجة ترضى عنها، أجّل القرار واخرج لتتمشى. من المحتمل كثيرا أن تأتيك فكرة تحل لك ما عجزت عن حله.

فكرة إصدار عدد خاص من مجلة «عود الند» الثقافية حضرتني أثناء أحد مشاوير المشي اليومي. يستحق هذا الحدث الجلل عددا خاصا عن حياتنا بعد أن اقتحمها فيروس لا يزال يفتك بالكثيرين، وأجلسنا في بيوتنا خوفا منه، أو التزاما بالإجراءات الحكومية الهادفة إلى الحد من انتشاره. الحدث يستحق أن نكتب عن تأثيره علينا ونحن محاصرين.

في الأحوال العادية، كنت أخرج مرتين على الأكثر في الأسبوع لشراء ما يلزم البيت. وقد تعطلت سيارتي في الشهر الأول من العام، فلجأت إلى استخدام المواصلات العامة. مرت فترة لم ألاحظ في المتاجر التي أذهب إليها ما يوحي بإقبال كبير على شراء المواد التموينية، ثم بدأت ألاحظ بعض الرفوف والثلاجات الخالية.

مهما كانت قناعاتك راسخة بشأن عدم ضرورة شراء مواد تموينية أكثر من المعتاد، إلا أن مشاهدتك الرفوف والثلاجات الخالية تضعك تحت ضغط نفسي. ولذا توقفت عن الذهاب إلى المتاجر الكبرى.

قررت أن أعتمد على شراء حاجاتي من خلال الإنترنت. كان أقرب موعد توصيل ما طلبت بعد حوالي ثلاثة أسابيع. ظننت أنني سوف أستطيع مواصلة الطلب بهذه الطريقة، إلا أنني منذ نجاحي في المحاولة الأولى، لم أتمكن من الشراء من المتاجر الكبرى ثانية، لأن كل مواعيد التوصيل محجوزة.

مواقع أخرى لبيع المواد الغذائية عبر الإنترنت أوقفت تسجيل الراغبين في الشراء. أما في المواقع التي كنت سجلت فيها نفسي من قبل، فقد كتب تحت صور المواد الغذائية: «غير متوفر».

في الشارع الرئيسي القريب من بيتي توجد بعض المحلات الصغيرة، ومع أن أسعارها أعلى من المتاجر الكبرى في الأحوال العادية، ورفعت أسعارها بعد فرض إجراءات الوقاية، إلا أنني صرت أفضل أن أذهب إليها فالإقبال عليها أخف.

لا يزال ساعي البريد يوصل الرسائل في الصباح. نتيجة الأوضاع الراهنة، لم يعد مستغربا أن يتأخر وصول الرسائل التي كانت تصل في اليوم التالي أو بعد يومين من إرسالها.

باستثناء محلات بيع المواد التموينية، كل المحلات الأخرى مغلقة، بما في ذلك محلان لبيع الزهور، وثلاثة صالونات حلاقة.

سوبر ماركت متوسط الحجم قريب من بيتي صار ينظم عملية دخول الزبائن، ووضع علامات على أرض المتجر، ويطلب من الزبائن عدم الانتقال إلى

المربع التالي قبل انتقال من فيه إلى مربع ثالث. صيدلية الحي تسمح بدخول شخصين فقط في وقت واحد. ولذا، أصبح من المظاهر الشائعة وجود طابور من الأشخاص ينتظرون دورهم لدخول هذا المحل أو ذاك.

الشارع الرئيسي القريب من البيت كان يعاني من زحمة السيارات طوال اليوم، لكنه هذه الأيام شارع فيه حركة سير خفيفة. اختفى منظر السيارات المتراصة وتمشي ببطء شديد.

لا أتابع الأخبار على القنوات التلفزيونية من سنوات عديدة، ولا أزال متمسكا بهذه العادة. ولا أتابع أرقام الإصابات. وسائل الإعلام تريد أن تظهر لمتابعيها دائما أن لديها آخر الأخبار والتفاصيل. متابعة الأرقام سوف تجلب لك التوتر وسيزيد شعورك بأن الخطر يقترب منك أكثر. كذلك، لا أضيع وقتي في متابعة فيديوهات فيها تفسيرات غير منطقية لانتشار الوباء.

رغم عدم تأثير إجراءات الوقاية من الوباء على مجريات حياتي اليومية، أدى توقف الرحلات الجوية بين الدول إلى تأجيل تنفيذ رغبتي في السفر والعودة قبل بدء شهر رمضان المبارك. الأمل ألا تطول فترة التوقف هذه.

بيّن الوباء اللعين أهمية وجود الإنترنت ومواقعها الثقافية والإخبارية والتجارية وغير ذلك. وبصفتي ناشر مجلة ثقافية، شعرت بأن قراري اختيار الفضاء الإلكتروني في عام 2006 كان قرارا صائبا. كانت صحة القرار تزيد وضوحا عاما بعد عام، وخاصة بعد توقف الصحف والمجلات الورقية عن النشر، ولكن كورونا لم يُبقِ حجة لمن عاندوا الواقع وتطور الحياة. المفاضلة بين الصيغة الورقية والرقمية الآن ضرب من التخلف.

وبيّن الوباء اللعين أهمية التعليم عن بعد. استغربت أن ننجو من المفاضلة بين الورقي والرقمي لنقع في دوامة المفاضلة بين التعليم عن بعد ووجها لوجه في الصف وقاعة المحاضرات. من أين يأتي الإنسان بهذه المقدرة على إيجاد الذرائع لتفادي التغيير في حياته رغم أن في التغيير فوائد كثيرة له؟

المكتبات الجامعية ذات المليون كتاب لا فائدة ترجى منها هذه الأيام لأنها مغلقة. تباهي الجامعات بأن في مكتبتها مليون كتاب ورقي

سيتغير إلى التباهي بأن مكتبتها رقمية مئة بالمئة، والمليون كتاب حولت كلها إلى صيغة رقمية.

يجب أن تتوفر كل الكتب، جديدها وقديمها بصيغة رقمية. الحاجة كانت واضحة للمكتبات الرقمية، وهي الآن ليست مسألة تحتاج إلى النقاش حولها، بل إلى وضع برنامج لتنفيذها عاجلا لا آجلا.

إذا كان من درس ينبغي للبشرية أن تتعلمه بعد هذه التجربة المشتركة فهو أهمية العودة إلى سياسات قديمة تراجعت أمام تمجيد منافع الأفكار الرأسمالية الساعية إلى خلق الثروة، والتشجيع على تخلي الدول عن سياسات مثل الاكتفاء الذاتي من المواد الغذائية. كان من نتائج هذه الأفكار تكديس المزيد من الثروات في أيدي أعداد قليلة من الناس.

عُرفت بريطانيا، حيث أقيم، بوجود نظام صحي مجاني لجميع المواطنين، وهو منذ الثمانينيات يتعرض للحرمان مما يحتاج من موارد. وسادت مخاوف قوية من أن الهدف النهائي مما يتعرض له القطاع الصحي العام تحويل ملكيته إلى القطاع الخاص.

عندما اجتاح كورونا بريطانيا، ظهر بوضوح أن سياسة إضعاف الجهاز الصحي ليست خاطئة وحسب، بل كان يمكن أن تؤدي إلى مصيبة أكبر في البلاد في حال تعرضها لوباء كهذا في المستقبل. أصاب كورونا رئيس الوزراء، بوريس جونسون، وعولج في وحدة العناية المركزة في أحد المستشفيات الحكومية. ولذا المأمول أن يستوعب حزب المحافظين، الذي يتزعمه جونسون، أهمية حماية هذا القطاع من أيديولوجيا الخصخصة.

انتشار وباء كورونا أعاد القوة إلى الرأي الذي يدعو إلى أن تكون الدول دول رعاية اجتماعية، وليست سلطة تنظم وتسهل عمل الشركات، وتترك أغلبية الشعب دون أشغال أو مصدر دخل، وتذل كل من هو بحاجة إلى دعم مالي من الدولة. يجب أن تكون الدول شديدة الاهتمام بنظام الرعاية الاجتماعية. النظام الصحي المزود بالموارد ضروري في كل دولة حتى يكون التعامل مع وباء مماثل بكفاءة أكبر في المستقبل.

ويجب عدم التلكؤ في الدول النامية في إقامة بنية تحتية رقمية تمكن المواطنين من استخدام الإنترنت للتعلم عن بعد، وشراء الاحتياجات، والقيام بالمعاملات الرسمية، بما في ذلك، الحصول على جواز السفر، من خلال الإنترنت.

من الإيجابيات غير المقصودة من إجراءات الوقاية إعادة الهدوء إلى الشوارع، وتقليل تلوث الهواء. خدمت الإجراءات البيئة. ولذا، تبدو لي فكرة وجيهة إعطاء الكرة الأرضية إجازة سنوية، يتوقف فيها البشر عن استخدام السيارات، فتتمكن من إعادة تجديد نفسها، مثلما يتعافى الجسد المريض بالخلود إلى الراحة.

## عن صورة الغلاف

# عـود الـنـد: عدد خاص - كورونا

صورة معدلة ببرنامج رسم لتلخيص أثر وباء كورونا على حياة البشر وإرغامهم على البقاء في البيوت ولبس كمامات لتفادي خطر الإصابة بالفيروس الفتاك.



فكرة وتنفيذ عدلي الهواري

# مواعيد صدور الأعداد

العدد الفصلي 17 (صيف 2020): 1 حزيران (يونيو) 2020

العدد الفصلي 18 (خريف 2020): 1 أيلول (سبتمبر) 2020

العدد الفصلي 19 (شتاء 2020): 1 كانون الأول (ديسمبر) 2020

العدد الفصلي 20 (ربيع 2021): 1 آذار (مارس) 2021

# «عـود الـنـد» فـي سـطـور

- صدر العدد الأول من مجلة «عـود الـنـد» الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات مـتـتـالـيـة.
- حصلت «عـود الـنـد» من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ«عـود الـنـد» هو: ISSN 1756-4212
- شارك في «عـود الـنـد» كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.
- بعد اتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.
- ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له كتب بالإنجليزية، والعربية، من بينها:
- **الديمقراطية والإسلام في الأردن؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ غسّان يبتسم؛ كلمات عـود الـنـد.**

**www.oudnad.net**